مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْمَسَائِلِ الْغَيْبِيَّةِ: ذَبْحُ الْمَوْتِ وَعَذَابُ الْقَبْرِ

-أنموذجاً-

دراسة في قراءة أهل السنة والمتكلمة لنصوص الوحيين

عزيزة ارمولي

باحثة بمرحلة الدكتوراه: كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة ابن طفيل بالقنيطرة المملكة المغربية

aziza.armouli19@gmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

مُلخَّص البَحث

موضوع البحث:

إبراز أهمية المنهج في تناول القضايا الغيبية، مع بيان أثر اختلاف المنهج بين أهل السنة والمتكلمة في تقرير هذه الأخبار كقضية: «ذبح الموت»، و«عذاب القبر».

هدف البحث:

مناقشة أدلة الفريقين، وبيان منهجهما في التعامل مع نصوص الوحي خاصة مسألة: «ذبح الموت» و«عذاب القبر».

مشكلة البحث:

ما السر في اختلاف أهل السنة مع غيرهم في التعامل مع الأخبار الغيبية كقضية: «ذبح الموت»، و«عذاب القبر»؟ وهل للمنهج دور في هذا الاختلاف؟

نتائج البحث:

١. الاختلاف في المنهج خاصة في القضايا الغيبية من شأنه أن يؤدي إلى التباين في التعامل معها .

٢. الاختلاف في المنهج أدى بفريق إلى تمرير تلك الأخبار يقينا منه بأن: من الله العلم وعلى الرسول البلاغ وعلى الأمة التسليم، بينما استنكف فريق آخر السير على سنن أهل الاتباع فركب مطية التأويل فتسبب في تعطيل أخبار ثابتة بمقتضى الوحي.

الكلمات الدالة (المفتاحية):

منهج: أهل السنة- المتكلمة - ذبح الموت -عذاب القبر.

مجلة تعظيم الوحيين

المُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١]، أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد، لاشك أن علم العقائد من العلوم التي لا يدرك كنهها إلا بمقتضى ما أخبر به الحق -سبحانه-، وبَيَّنَهُ نبيه الأكرم -صلوات ربي وسلامه عليه-ومن بين أهم القضايا العقدية التي يستعان في فهمها على السنة البيانية مسألة: «ذبح الموت»، و«عذاب القبر»، فرغم وجود الدليل السمعي على ثبوتهما إلا أن بعض المتكلمة رفضوا قبول النصوص الخبرية على ظاهرها، وعملوا على تأويلها، مع أن هذه المسائل الغيبية لا يمكن للعقل أن يستوعبها بقدراته المحدودة.

لهذا كان لازما أن نرصد السبب الذي جعل هؤلاء المتكلمة يعطلون هذه الأخبار، ويرفضون منهج أهل السنة في إثبات هذين الخبرين.

لهذا جاء البحث بعنوان:

منهج أهل السنة والمتكلمة في التعامل مع المسائل الغيبية:«ذبح الموت وعذاب القبر» -أنموذجا-

أولاً: أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث في كونه؛

١- يبرز أهمية المنهج في التعامل مع القضايا الغيبية؛ لأن الاختلاف في المنهج هو الذي أدى بالبعض إلى تعطيل نصوص الوحي.

٢- التأكيد على أن إعمال العقل في المسائل الغيبية سفسطة لا تؤدي سوى إلى تعطيل ما أقره الوحي.

٣-أصالته في تقصي منهج أهل السنة في التعامل مع مسائل الغيب.

٤- تنبيه المعاصرين أن المنهج الصحيح في التعامل مع الوحي هو اتباع ما كان عليه سلف الأمة.

٥- إبراز أن مخالفة أهل الاتباع هو الذي جر على الأمة الفتن والقلاقل، ومزق وحدتها العقدية، حتى هان شأنها عند أعدائها.

ثانياً: أسباب اختيار موضوع البحث:

لعل أبرز أسباب اختيار هذا الموضوع هي:

١- أهمية المنهج في التعامل مع القضايا العقدية خاصة المسائل الغيبية منها.

٢- جدة هذا الموضوع من حيث البحث والثمرة والنتيجة، وأصالته من ناحية المصدر.

٣- دقة هذا الموضوع وتداخله بين علم أصول الدين والتفسير والحديث وعلومه، وكتب التاريخ والتراجم...

ثالثاً: أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث فيما يلي:

١- معرفة منهج أهل السنة والمتكلمة في التعامل مع القضايا الغيبية خاصة مسألة: «ذبح الموت» و«عذاب القبر».

٢- الوقوف على الأسلوب الحجاجي للمثبتين من أهل السنة في رد شبهات المؤولة والمعطلة من أهل الكلام لنصوص الوحيين.

٣- بيان الترابط الوثيق بين الانحراف في المنهج وتعطيل نصوص الوحي.

٤- إبراز أن بيان المسائل الغيبية وغيرها مرجعه الأساس القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة بمنهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

٥- التأكيد على أن إعمال العقل في مسائل الغيب شذوذ وخروج وانحراف عن النهج القويم.

رابعاً: مشكلة البحث:

ومشكلة البحث هي: ما السبب في اختلاف أهل السنة وبعض المتكلمة في التعامل مع خبر: «ذبح الموت»، و«وعذاب القبر»، وهل للمنهج دور في هذا التباين؟

خامساً: حد البحث والدراسة:

سينحصر البحث في بيان منهج المتقدمين من أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع هذه النصوص الخبرية مع رصد الأسلوب الحجاجي للمثبتين من أهل السنة في رد شبهات المؤولين من أهل الكلام.

سادساً: حدود مصادر البحث:

حدود البحث العلمية: كتب العقائد والفرق الأصيلة، وكتب التفسير والحديث وعلومه، وكذلك الاستعانة بكتب شروح الحديث، وكتب السير والأخبار ...

سابعاً: الدراسات السابقة:

صحيح أنه هناك دراسات تناولت هاتين المسألتين، لكن -بحسب علمي المحدود- لم أقف على دراسة قامت بتحرير المسألتين بنفس المنهجية التي اعتمدتها من خلال سَوْقِ أقوال الفريقين معًا، والوقوف على منهج أهل السنة في الرَدِّ على شبهات هؤلاء المتكلمة، مع التأكيد على أهمية المنهج، وعلى الرغم من ذلك فقد استفدت من بعض الدراسات في بناء الجانب النظري لدراستي، ولعل أهم هذه الدراسات:

- «تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي»/ المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر/ غراس للنشر والتوزيع/ لطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- «أحداث الآخرة» بقلم: سعد يوسف أبو عزيز/ طبع: دار التوفيقية للتراث، حيث عمل على سرد الآيات والأحاديث وأقوال ابن القيم من خلال كتابه «الروح» دون بسط شبه المتكلمة من خلال كتبهم.

- «الموت وأحوال من الآخرة»: للباحث: د. طه ياسين كاظم الدليمي حيث حرره في ثلاث وثلاثين صفحة، لكنه اكتفى في مبحث الرد على منكري عذاب القبر بشبهة واحدة نقلها عن كتب الأشاعرة دون تحريرها من كتبهم، كما لم يتناول باقي الشبهات التي حررتها في بحثي، وأغفل ذكر نصوص المفسرين في تفسير الأدلة المثبتة لعذاب القبر.

- «الطعن في حديث: يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح» مقال منشور بموقع: «بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام».

- «الرد على من زعم أخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعقيدة عذاب القبر من اليهود» مقال منشور بموقع: «الإسلام: سؤال وجواب».

- «صور من عذاب القبر» لنفس الموقع.

وينبغي أن أشير إلى أن البحث اعتمد بشكل كبير على الأصول من تفاسير المتقدمين وكذا في باب أصول الدين من كلا الجانبين، ويبقى أن لكل باحث اجتهاده في منهج التناول لمثل هذه القضايا وتحريرها، والله أسأل أن لا يحرم كل من أسهم في بيان المنهج القويم في التعامل مع مثل هذه القضايا الغيبية، أجر اجتهاده، وأن يرزقنا وإياهم الإخلاص والسداد، والتوفيق والرشاد.

ثامناً: خطة البحث:

انتظم سلك هذا البحث كما يلي:

- **مقدمة:** وفيها بيان أهمية الموضوع، وحدوده، والمنهج المتبع، وخطة البحث.

- **تمهيد:** أهمية المنهج في التعامل مع القضايا العقدية لاسيما الغيبية منها.

- **المبحث الأول: منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع خبر: «ذبح الموت»**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج أهل السنة في إثبات خبر: ذبح الموت».

المطلب الثاني: منهج أهل الكلام في تأويل هذا الخبر ورد أهل السنة عليهم.

- **المبحث الثاني: منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع خبر: «عذاب القبر»،**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج أهل السنة في إثبات خبر: «عذاب القبر».

المطلب الثاني: منهج أهل الكلام في تعطيل هذا الخبر ورد أهل السنة على شبهاتهم.

- **الخاتمة**: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

-**الفهارس**: فهرس للمصادر والمراجع.

تاسعاً: منهج البحث:

يعتمد هذا البحث أصالة على المنهج الاستقرائي التحليلي، دون أن يغيب المنهج النقدي، ومن متمات هذا المنهج ولوازمه ما يلي:

١. عزو الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢. تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصيلة بذكر اسم الكتاب والباب، ورقم الحديث، مع رصد أقوال علماء الجرح والتعديل بشأنها.

٣. عزو معاني الألفاظ إلى المعاجم اللغوية لاسيما المتقدمة منها.

٤. ترجمة الأعلام بالرجوع إلى كتب التراجم.

٥. الاستعانة بكتب العقائد والفِرَقِ الأصيلة، وكتب التفسير والأصول، والحديث وشروحه، والتاريخ والسير...

٦. عزو الأقوال إلى أصحابها من كتبهم مباشرة عدا إذا استعصى الوقوف عليها في أصولها إما لأنها مفقودة أو لأنها لم تحقق بعد؛ كشأن أبي بكر الأصم حيث اعتمدت الواسطة

في بيان مذهبه من خلال ما ذكره ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري، وكشأن ضرار بن عمرو فيما حكاه عنه القاضي عبد الجبار في: «شرحه للأصول الخمسة»، وكذلك قول الكعبي فيما حكاه عنه الفخر الرازي في: «مفاتيح الغيب»، أما بخصوص الدراسات التي ظهرت مؤخرا لبعض هؤلاء المعتزلة فما هي إلا تجميع لأقوالهم من خلال الكتب التي نقلت أصولهم، كشأن فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير.

٧. راعيت في اعتماد هذه المصادر الترتيب التاريخي احتراما لتاريخ الأفكار من جهة، ولكون ذلك الترتيب يبين أن الخلف من كلا الجانبين لم يشذ كثيرا عن سلفه.

هذا وأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقني الصدق والإخلاص في العمل، وأن يمن علي بحسن القبول وأن ينفع بما وفقني إليه من إبراز أهمية المنهج في التعامل مع الوحي لاسيما في المسائل الغيبية، كما أسأله سبحانه أن يجعل جهدي وتعبي ونتاج بحثي في صحيفتي يوم القيامة، وأن يجزي عني والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومشايخي خير الجزاء، وأن يجزل العطاء لأمي حفظها الله ورعاها ورزقها دوام الصحة والعافية، كما أسأله -تعالى شأنه- أن يغفر لي ما في هذا البحث من أخطاء وزلات، وكما قيل:

والنقص في أصل الطبيعة كامن فبنو الطبيعة نقصهم لا يجحد.

تمهيد

تعتبر المسائل الغيبية من القضايا الشائكة التي يصعب على المكلف استيعابها بمقتضى العقل، ومن ثم فلا مجال لمعرفتها إلا بواسطة الخبر، بمعنى أن إدراك هذه القضايا يأتي من قبل الآيات الحكيمة وبما بينته السنة النبوية الصحيحة؛ لأن أقوال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى جانب أفعاله وتقريراته وحي كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم:٣- ٤]، وما دامت السنة وحي فلا غرو أن يكون من بين أهم أدوارها البيان والتبيين لما أجمل من الذكر الحكيم؛ قال تعالى مخاطباً نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة النحل:٤٤]، بل إن النص القرآني نفسه قد أعطى لنبي الهدى حق التشريع أيضا يقول عز من قائل: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾[سورة النساء:١١٣].

يقول الإمام الشاطبي(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُطْلَقُ لَفْظُ «السُّنَّةِ» عَلَى مَا جَاءَ مَنْقُولًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عَلَى الْخُصُوصِ، مِمَّا لَمْ يُنَصّ عَلَيْهِ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، بَلْ إِنَّمَا نُصَّ عَلَيْهِ من جهته -عليه الصلاة وَالسَّلَامُ-، كَانَ بَيَانًا لِمَا فِي الْكِتَابِ أَوَّلاً».

وما قرره الإمام الشاطبي له أصل من حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَعِب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(٢).

---

(١) «**الموافقات**»/ للإمام الشاطبي (ت:٧٩٠هـ)/ (٤/ ٢٩٠).

(٢) «إسناده صحيح»: أخرجه أحمد في:«**مسنده**»/ (مسند الشاميين/ حديث المقدام بن معدي كرب الكندي/ ح:١٧١٧٤)، وأبو داود في:«**سننه**»، في كتاب: السنة/ باب: في لزوم السنة/ ح: ٤٦٠٤)، وابن بطة في:«**الإبانة الكبرى**»/ (باب: ذكر ما جاءت به السنة من طاعة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ/ ح:٦٢)، من طرق، عن حَرِيز، عن عبد الرحمان بن أبي عوف الجُرَشِي، عن المقدام بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الكِنْدِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

قلت: حريز بن عثمان الرُّحَبِي: من الثقات الأثبات، رمي بالنصب.«**التقريب**»/ (ص:١٧٠)، وعبد الرحمان بن أبي عوف الجُرَشِي: من الثقات أيضا.«**التقريب**»/ (ص:٤٧٠)، والمقدام بن معدي كرب هو من الصحابة رضوان الله عليهم . فإسناد الحديث صحيح، لأن رواته من الثقات العدول، لهذا صححه الألباني عند تحقيقه لكتاب:«**الإيمان**» (ص: ٣٦)، وأورده في:«**صحيح سنن أبي داود**»/

قال أبو القاسم الخطابي[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي أُذِنَ له أن يبين ما في الكتاب ويعم ويخص وأن يزيد عليه فَيُشَرِّعَ ما ليس له في الكتاب ذكرٌ، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن» ولتأكيد ذلك استدل الإمام البغوي[2] بقوله -تعالى-: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، [سورة البقرة:١٢٩]، حيث فهم أن بيان الكتاب إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكيف لا؟! وقد آتاه الله الحكمة وهي السنة، يقول ابن قيم الجوزية في كتابه: «**التبيان في أقسام القرآن**»[3]: «وقد صح عنه أنه قال « **أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ** » وهذا هو السنة بلا شك وقد قال -تعالى-: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، [سورة النساء:١١٣]، وهما القرآن والسنة».

لهذا كله يظهر أن معرفة الإسلام -لاسيما المسائل العقدية منه- لا يكون إلا بالرجوع المطلق إلى الوحي المتمثل في الكتاب والسنة، ولا مجال لمقارنتها بالقراءات البشرية القاصرة خاصة في باب الأمور الغيبية التي لا يمكن إخضاعها لأقوالهم واجتهاداتهم مهما أوتوا من العلم، بل الواجب الإيمان بها والتسليم بما ورد في القرآن وبما صح من حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الإنسان يبقى محدود المعرفة، ومحصور الفكر والنظر بالمقارنة مع الخالق الذي له كمال العلم والحكمة، وبالتالي فإنه لا يقدر أن يستوعب ما يجري في هذا الكون الشاسع، يقول -سبحانه-: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[سورة الإسراء: ٨٥]، أي أن ما: «أعطاكم الله من العلم قليل فيما عنده من العلم»[4]، لهذا قال العبد الصالح: الخضر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لموسى -عليه السلام-: «**وَاللَّهِ مَا عِلْمِي وَمَا عِلْمُكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ**»[5].

(٣/ ١١٧ ١١٨).

(١) «**معالم السنن**»/ لأبي سليمان الخطابي (ت: ٣٨٨هـ)/ (٤/ ٢٩٨).

(٢) ينظر: «**شرح السنة**»/ للبغوي/ (ت: ٥١٦هـ)/ (١/ ٢٠٢).

(٣) «**التبيان في أقسام القرآن**» / لابن القيم (ت:٧٥١هـ)/ (ص: ٢٤٩).

(٤) ينظر: «**بحر العلوم**»/ لأبي الليث السمرقندي (ت:٣٧٣هـ) / (٣/ ٢٥).

(٥) أخرجه **البخاري** في :«كتاب: **التفسير**/ باب :«فلما بلغا مجمع بينهما.../ ح:٤٧٢٦)، عن أبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، مرفوعاً.

يقول ابن حجر[١] في تعليقه على قول الخضر: « من الفوائد أن الله يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه بما يشاء مما ينفع أو يضر فلا مدخل للعقل في أفعاله ولا معارضة لأحكامه بل يجب على الخلق الرضا والتسليم فإن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر فلا يتوجه على حكمه لِمَ وَلاَ كَيْفَ، كما لا يتوجه عليه في وجوده أين وحيث، وإن العقل لا يحسن ولا يقبح وأن ذلك راجع إلى الشرع ... فليحذر المرء من الاعتراض فإن مآل ذلك إلى الخيبة»، وبالتالي وجب تمرير ما أخبر به الشارع الحكيم وبينه نبيه الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على ظاهره، يقول الإمام أحمد[٢]: «**نُؤْمِنُ بِهَا وَنُصَدِّقُ بِهَا وَلَا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْهَا إِذَا كَانَتْ أَسَانِيدُ صِحَاحَ وَلَا نَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَوْلَهُ وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ**»، فالأمور الغيبية هي فوق مستوى العقل وإدراكه، وهذا لا يعني أنها مناقضة لأحكامه أو مستحيلة في حكمه، كما أن العقل الصريح لا يمكنه إطلاقا أن يناقض الوحي الصحيح؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ: «فجميع ما يخبر به الرسول عن الله صدق وحق لا يجوز أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي، فمتى علم المؤمن بالرسول أنه أخبر بشيء من ذلك جزم جزما قاطعا أنه حق وأنه لا يجوز أن يكون في الباطن بخلاف ما أخبر به، وأنه يمتنع أن يعارضه دليل قطعي لا عقلي ولا سمعي، وأن كل ما ظن أنه عارضه من ذلك فإنما هو حجج داحضة وشبه من جنس شبه السوفسطائية[٤]».

ولا عجب في ذلك، فالعقل مخلوق وهو يؤدي وظيفته من خلال قدراته المحدودة، ومن خلال ما يدركه بحواس الإنسان المحدودة، فالقدرة المطلقة والإحاطة الشاملة هي

(١) «**فتح الباري**»/ لابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ (١/ ٢٢٠ ٢٢١).
(٢) ينظر: «**شرح أصول اعتقاد أهل السنة**»/ للالكائي (ت:٤١٨هـ)/ (٣/ ٥٠٢).
(٣) «**درء تعارض العقل والنقل**»/ لابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ (١/ ١٧٢).
(٤) «**السوفسطائية**»: هم الَّذين ينفون العلم وينفون حقائق الاشياء كلهَا، لهذا عُدُّوا معاندين لما قد علموه بِالضَّرُورَةِ، كما زعموا أن حقائق الاشياء تَابِعَة للاعتقاد وصححوا جَمِيع الاعتقادات مَعَ تضادها وتنافيها، وقد بسط ابن حزم مقالتهم وفندها وكشف عَوَرَهَا من خلال كتابه:«**الفصل**» ينظر:«**الفرق بين الفرق**»/ (ص:٣١١)، و«**الفصل في الملل والأهواء والنحل**»/ (١/ ١٤ ١٥).

من صفات الخالق وحده وليست من صفات العقل المخلوق، وقس على ذلك ما يتعلق بالذات الإلهية، لهذا استغرب ابن القيم[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن أراد أن يعمل العقل فيما لا يسع إدراكه إلا بمقتضى الوحي، يقول: «فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله والجمال كله والعلم كله والقدرة كلها والعظمة كلها والكبرياء كلها !؟».

ومن هنا تبرز أهمية منهج الصحابة في تعاملهم مع بيان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه المسائل التي تخص عوالم الأزل الغيبية؛ فالصحابة كان لهم الفضل والسبق في الإسلام، ومنزلتهم لا يتقدمها أحد، لا من عامة المسلمين ولا من خاصتهم، يقول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ اللهَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهَّ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهَّ سَيِّئٌ**»[2]، ويكفيهم رفعة بما وصفهم به -سبحانه وتعالى-: ﴿لَّقَدْ

(١) «**مدارج السالكين**» / لابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)/ (٣/ ٣٥٣).

(٢) «إسناده حسن»: أخرجه أبو داود الطيالسي في: «**مسنده**»/ (ما أسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ/ ح:٢٤٣)، والطبراني في:«**معجمه**»/ (خطبة ابن مسعود،/ ح:٨٥٨٣)، والبيهقي في:«**الاعتقاد**»/ (ص:٣٢٢/ باب: القول في: أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله ورضي عنهم)، من طريق المسعودي، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به.

وأخرجه أحمد في:«**مسنده**»/ (مسند المكثرين من الصحابة/ مسند عبد الله بن مسعود/ ح:٣٦٠٠)، والبزار في:«**البحر الزخار**»/ (زر بن حبيش/ ح:١٨١٦)، من طريق أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر بن حُبَيْش، عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به.

قال الدارقطني في:«**العلل الواردة في الأحاديث النبوية**»/ (٥/ ٦٦): فَقَالَ: يرويه عاصم وَاخْتُلِفَ عَنْهُ، فَرَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ، وَخَالَفَهُمَا الْمَسْعُودِيُّ، وَحَمْزَةُ الزَّيَّاتُ، فَرَوَيَاهُ عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ.

وَخَالَفَهُمْ نُصَيْرُ بْنُ أَبِي الْأَشْعَثِ، رَوَاهُ عَنْ عَاصِمٍ، عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ، وَمُسْلِمُ بْنُ صُبَيْحٍ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ، ورواه الأعمش، وَاخْتُلِفَ عَنْهُ؛ فَقَالَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ، وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ»

قلت: المسعودي: عبد الرحمان بن عبد الله بن مسعود الكوفي: قال ابن حجر: صدوق اختلط قبل موته، وضابطه أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط.«**التقريب**»/ (ص:٤٦٤)، وقال في: «**تهذيب التهذيب**»/ (٦/ ٢١٠): وإنما اختلط المسعودي ببغداد ومن سمع منه بالكوفة والبصرة فسماعه جيد وقال حنبل عن أحمد سماع أبي النضر وعاصم وهؤلاء من المسعودي بعدما اختلط.

وأبو بكر بن عياش الكوفي: ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه، وكتابه صحيح.«**التقريب**»/ (ص:٨٨٨)، وذكر في:«**تهذيب التهذيب**»/ (١٢/ ٣٥)، أنه حدث: عن عاصم بن بهدلة أحد القراء هو في كل رواياته عن كل من روى عنه لا بأس به وذلك إني لم أجد له حديثا منكرا إذا روى عنه ثقة إلا أن يروي عن ضعيف.

قلت: والحال أنه يروي عن عاصم وهو ممن اختلف فيه وهو ليس بالضعيف الذي تسقط روايته، فعاصم بن بهدلة: صدوق له أوهام، حجة في القراءة.«**التقريب**»/ (ص:٣٦٩)، وابو وائل: شقيق بن سلمة من الثقات.«**التقريب**»/ (ص:٣٤٢)، لهذا تكون رواية أحمد

﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا﴾[الفتح:١٨]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ**[1] **مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُونَ: فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ**»[2].

فالواجب على كل فرد مسلم التأسي بالصحابة واتباع منهجهم في تلقي الوحي والإيمان به على ظاهره، يقول اللالكائي[3]: « فلم نجد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع، وذم التكلف والاختراع، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين».

وقد توعد الله -تعالى- من ينحرف عن منهجهم بقوله -عز من قائل-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥]، قال أبو جعفر الطبري[4]: «يتبع طريقًا غير طريق أهل التصديق، ويسلك منهاجًا غير منهاجهم، وذلك هو الكفر بالله، لأن الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم»، فلم يثبت عن الصحابة أن عمدوا إلى التأويل -خاصة ما يتعلق بالاعتقاد- ليقينهم أن ذلك يخرج عن مدركات عقولهم، ومن ثم كان منهجهم في ذلك التسليم والإذعان؛ بمعنى أن الوحي هو المُوَجِّه والعقل يمارس وظيفته في ظل توجيهات الوحي، وكل من أراد تجاوز الوحي وأراد إخضاع النصوص لرأيه فإنه يكون بذلك قد سلك سبيل إبليس -لعنه الله- لما رفض تنفيذ

إسنادها حسن، وهذا ما نحا إليه ابن القيم في:«**الفروسية المحمدية**»/ (ص:٢٣٨)، قال: ثابت عن ابن مسعود، وحسنه ابن حجر في:«**الأمالي المطلقة**»/ (ص:٦٥)، وقال الألباني في:«**السلسة الضعيفة**»/ (٢/ ١٧):«إسناده حسن»، والله أعلم.

(١) «فئام»: الجماعة من الناس وغيرهم. ينظر:«**العين**»/ (مادة: فأم).

(٢) «متفق عليه»: أخرجه **البخاري** في: (كتاب:أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ/ باب:فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ/ ح:٣٦٤٩)، **ومسلم** في: (كتاب: فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ / باب: فضل الصحابة/ ح:٦٥٠٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعا.

(٣) «**شرح أصول اعتقاد أهل السنة**»/ اللالكائي (ت:٤١٨هـ)/ (١/ ٢٣).

(٤) ينظر:«**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (٩/ ٢٠٥).

أمر الله بدعوى تميزه عن آدم -عليه السلام- يقول ابن أبي العز الحنفي[1]: «وَكُلُّ مَنْ قَالَ بِرَأْيِهِ وَذَوْقِهِ وَسِيَاسَتِهِ - مَعَ وُجُودِ النَّصِّ، أَوْ عَارَضَ النَّصَّ بِالْمَعْقُولِ - فَقَدْ ضَاهَى إِبْلِيسَ، حَيْثُ لَمْ يُسَلِّمْ لِأَمْرِ رَبِّهِ، بَلْ قَالَ: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [سورة ص:٧٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[سورة النساء:٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[سورة آل عمران:٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥]، أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوا نَبِيَّهُ وَيَرْضَوْا بِحُكْمِهِ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

وفي هذا السياق ينبغي أن أشير إلى أن السنة كان لها أثرٌ ظاهرٌ في تكوين فهم المسلمين الأوائل للإسلام عقيدة وشريعة، وتأثير بيِّنٌ في تحديد المجالات التي يمكن للمسلم أن يُعْمِل تفكيره فيها، ومن ثم تحديد آفاق عوالمه الممكنة والمستحيلة؛ فالعقل محدود المعرفة، وقاصر عن إدراك المسائل الغيبية، وسلطان الوحي يجعله يقنع أن هناك حدودا لا يستطيع أن يسبر أغوارها لعجزه عن إدراكها، يقول الإمام الشاطبي[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الشريعة بَيَّنَتْ أن حكم الله على العباد لا يكون إلا بما شرع في دينه على ألسنة أنبيائه ورسله، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[سورة النساء:٥٩]».

لأجل هذا كله يجدر بالمسلم أن يدرك أنه في مثل هذه الأمور لا يسعه إلا أن يسلم بما جاء في الوحيين حتى لا يقع فيما وقع فيه بعض المتكلمة من تعطيل أو تأويل لنصوص الوحي، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة القصص:٥٠].

(١) «**شرح العقيدة الطحاوية**»/ لابن أبي العز الحنفي (ت:٧٩٢هـ)/ (ص: ١٧٦).
(٢) «**الاعتصام**»/ للإمام الشاطبي (ت:٧٩٠هـ)/ (٢/ ٥٢٦).

ومن بين أبرز المسائل الغيبية التي تولت السنة النبوية الشريفة بيانها مسألة: «ذبح الموت» و«عذاب القبر»، فكيف كان منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع هذين الخبرين؟ ولماذا اختار فريق الإمرار بينما اختار الآخر التأويل؟

هذا ما سأعمل على تفصيله بإذن الله -تعالى- من خلال المبحثين التاليين:

-**المبحث الأول**: منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع خبر: «ذبح الموت».

-**المبحث الثاني**: منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع خبر: «عذاب القبر».

المبحث الأول:

منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع خبر:

«ذبح الموت»

كيف تعامل المتقدمون من أهل السنة والمتكلمة مع هذا الخبر؟ وهل مرروا النصوص المثبتة لهذا الخبر على ظاهرها أم أقحموا العقل في تأويلها؟ هذا ما سيفصل فيه من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: منهج أهل السنة في إثبات خبر: «ذبح الموت»

يعد ذبح الموت من الأخبار التي يستعان في فهمها بما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبمنهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وكما سيأتي فقد بينت السنة أن معنى ذبح الموت أنه يؤتى به يوم القيامة على هيئة كبش أملح فيذبح على رؤوس الأشهاد.

وقد استدل السلف الصالح لإثبات هذا الخبر بقوله تعالى﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[سورة مريم: ٣٩]، واستعانوا في تفسير هذه الآية بحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [سورة مريم: ٣٩]، **وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةِ أَهْلُ الدُّنْيَا «وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ»**»[1].

(١) «متفق عليه»: أخرجه الشيخان؛ **البخاري** في: (كتاب: تفسير القرآن/ باب: قوله:«وأنذرهم يوم الحسرة»/ ح: ٤٧٣٠)، **ومسلم** في: (كتاب: الجنة/ باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء/ ح: ٢٨٤٩).

وهذا الحديث هو الذي اعتمده معظم المفسرين في بيان هذه الآية، ومن هؤلاء؛ شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري إلى جانب استعانته بأقوال الصحابة منهم؛ حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول(١): «يصور الله الموت في صورة كبش أملح(٢)، فيذبح، قال: فييأس أهل النار من الموت، فلا يرجونه، فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود في النار، وفيها أيضًا الفزع الأكبر، ويأمل أهل الجنة الموت، فلا يخشونه، وأمنوا الموت، وهو الفزع الأكبر، لأنهم يخلدون في الجنة» ثم تابعه بقول ابن جريج: «يحشر أهل النار حين يذبح الموت والفريقان ينظرون، فذلك قوله: ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ قال: ذبح الموت» واستدل ابن أبي حاتم الرازي(٣) لتقرير هذا الخبر الغيبي بقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يأتي الموت في صورة كبش أملح حتى وقف بين الْجَنَّة والنار...».

ولم يخالف باقي المفسرين منهج سلفهم فقد استعانوا في فهم هذه الآية بما فهمه الأتباع، منهم :

-أبو الليث السمرقندي(٤) فقد استدل في تقرير هذا الخبر بحديث أبي سعيد الخدري، ثم أتبعه بقول شريح ، يقول: «حين يذبح الموت على هيئة كبش أملح على الأعراف، والفريقان ينظرون فينادى: يا أهل الجنة، خلود لا موت، ويا أهل النار، خلود لا موت».

-وكذلك الإمام البغوي(٥)، وبه احتج علماء الأصول من أهل السنة منهم؛-أبو سعيد

(١) ينظر:«**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (١٨/ ٢٠١).
(٢) «أملح»: الذي فيه بياض سواد ويكون البياض أكثر. ينظر:«**غريب الحديث**»/ للقاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ)/ (مادة: ملح).
(٣) ينظر:«**تفسير القرآن العظيم**»/ لابن أبي حاتم الرازي (ت:٣٢٧هـ)/ (٧/ ٢٤١٠/ رقم:١٣١٣٦).
(٤) ينظر:«**بحر العلوم**»/ لأبي الليث السمرقندي (ت:٣٧٣هـ)/ (٢/ ٤٤٣).
(٥) ينظر:«**معالم التنزيل**»/ للإمام البغوي (ت: ٥١٠هـ)/ (٥/ ٢٣٢).

الدارمي[1] في نقضه على المريسي الجهمي، والإمام، الأثري، المُتَّبِع؛ عبد الغني المَقْدِسِي في كتابه: «الاقتصاد في الاعتقاد»[2] يقول: «ونؤمن بأن الموت يُؤتى به يوم القيامة فيذبح»، لهذا أدرجه كل من ابن قدامة في كتابه: «لمعة الاعتقاد»[3]، وابن العطار[4] ضمن قسم الإيمان بكل ما أخبر به الرسول، فهؤلاء جميعهم آمنوا بهذا الخبر على ظاهره لإدراكهم أن العقل يعجز عن استيعابه؛ وتعاملوا معه بمنهج الصحابة والتابعين في تمرير النص على ظاهره دونما تأويل أو تعطيل، لهذا قال الإمام أحمد[5]: «أمض الحديث كما روي بلا كيف».

ولعل ذلك راجع بالأساس لاعتقادهم الجازم أن الله ﷻ قادر على كلِّ شيء، قادر على أن يقلب الأعراض أجساماً والأجسام أعراضاً، لا يعجزه -تبارك وتعالى- شيء، فلا يقال: كيف يؤتى به ونحن نعلم أنَّ الموت عرض؟! فاللبيب هو من أعرض عن هذا التهوك ولزم ما بين الدفتين، يقول الملطي[6]: «وَلَا أرى للبيب مَا هُوَ أفضل من لُزُوم مَا بَين الدفتين والإكثار من النّظر فِي تَأْوِيله وَلُزُوم السّنة وَالْجَمَاعَة ودَعْ عَنْك العوج وَلِمَ وَكَيف، فَمَا أُمِرْتَ بِهِ وَإِنَّمَا خلقك الله لعبادته وَأنزل إِلَيْك نورا مُبينًا وَأرْسل إِلَيْك رَسُولا كَرِيمًا فَاتبع نوره وَمَا سنّ لَك نبيه -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- فَمَا عدا هذَيْن فَهُوَ ضلال»، كما أن الصحابة قد حذروا من البدع ولاشك أن الخوض في تأويل المسائل الغيبية تدخل ضمن هذا التحذير، لهذا خاطب الملطي[7] أهل الأهواء بالقول: «فَهَل سَمِعت عَنْهُم إِلَّا التحذير عَن الْبدع والمحدثات وَنقل عَنْهُم أَن كل محدثة بِدعَة وكل بِدعَة ضَلَالَة فَهَذَا مُحدث ووسواس».

(١) ينظر: «**نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي**/ للدارمي (ت: ٢٨٠هـ)/ (ص:٦٦).
(٢) ينظر: «**الاقتصاد في الاعتقاد**»/ لعبد الغني المقدسي (ت:٦٠٠هـ)/ (ص:١٩٤).
(٣) ينظر: «**لمعة الاعتقاد**»/ لابن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠ هـ)/ (ص:٣٤).
(٤) ينظر: «**الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**»/ لعلاء الدين ابن العطار (ت:٧٢٤هـ)/ (ص:٢٥٤ ٢٥٥).
(٥) ينظر: «**الإبانة الكبرى**»/ لابن بطة (ت:٣٨٧هـ)/ (٧/ ٢٤٢).
(٦) «**التنبيه والرد**»/ للملطي (ت:٣٧٧هـ)/ (ص:٤٢).
(٧) المصدر نفسه.

فحديث: «ذبح الموت» يفيد أن الموت يأتي على هيأة كبش، ويزداد اليقين بذلك بحديث آخر أخرجه الشيخان في: «صحيحيهما»[١]، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ**».

وهذين الحديثين اللذين فسرا الآية الكريمة هما من رواية الشيخين اللذين اتفقت الأمة على صحة روايتهما، والسلف قبلوا ببيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يسألوا: كيف يكون الموت كبشا؟ وهذا هو الواجب على المسلم الحق، أن يسلم بذلك ويعتقد اعتقادا جازما بما أفادته قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الآية، لأن ذلك لن يكون بدعا منه، بل هو دأب المتقدمين من أهل السنة كما سلف في هذه المسألة وغيرها، يقول أبو عيسى التِّرمذي[٢]: «والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن يرووا هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال: كيف؟»[٣].

وإذا كان أهل السنة استدلوا لإثبات هذا الخبر بالآية الكريمة وببيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها مع سلوك منهج الصحابة ومن نحا منحاهم من التابعين في تمرير ذلك الخبر على ظاهره، فكيف تعامل أهل الكلام مع هذا الخبر، وما سبب هذا الاختلاف؟ هذا ما سيفصل فيه -إن شاء الله تعالى- في المطلب التالي.

(١) «متفق عليه»: أخرجه **البخاري** في: (كتاب : الرقاق/ باب: صفة الجنة والنار/ ح: ٦٥٤٨)، و**مسلم** في:«كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء/ ح: ٢٨٥٠).
(٢) «**سنن الترمذي**» / لأبي عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ)/ (٤/ ٦٩١).
(٣) وهو ما ذكره ابن خزيمة فيما نقله عنه ابن تيمية في:«**الفتاوى الكبرى**»/ (٦/ ٥٦١).

المطلب الثاني: منهج أهل الكلام في تأويل هذا الخبر ورد أهل السنة عليهم.

لم يسلم المتكلمة ببيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الآية الكريمة حيث تعللوا بشبهتين:

الأولى: أن ظاهر الخبر يخالف مدركات العقل ومن ثم وجب تأويله.

الثانية: أن هذا الخبر هو من أحاديث الآحاد الذي يحكمه الظن لا القطع، ومن تم فهو لا يفيد العلم؛ وهذا هو المقرر عند الأصوليين المتكلمين.

فبالنسبة للشبهة الأولى: ادعوا أنه يستحيل أن ينقلب العرض جوهرا، وبناء على هذه الذريعة سوغوا لأنفسهم أن يؤلوا الخبر الصحيح الصريح، ومن بين هؤلاء:

- الإمام المازري[1] يقول: «الموت عرض من الأعراض عندنا يضادّ الحياة ... لا يصح أن يكون الموت كبشا ولا جِسماً من الأجسام وإنما المراد بهذا التَّشبيه والتَمثِيل، وقد يخلق الباري سبحانه هذا الجسم ثمَّ يُذبَح ويجعل هذا مثالا لأن الموت لا يطرأ على أهل الآخرة».

- وبناء على نفس القاعدة في التأويل استشكل على أبي العباس القرطبي صاحب: «المفهم»[2]، أن ينقلب العرض جوهرا، يقول: «ظاهر هذا الحديث مستحيل، وذلك أن العقلاء اتفقوا على: أن الموت: إما عرض مخصوص، وإما نفي الحياة، ولم يذهب أحد إلى أنه من قبيل الجواهر»، وذكر أن الناس أولوا هذا الخبر من وجهين؛ الأول: أن الله خلق صورة كبش خلق فيها الموت، فلما رآه أهل الجنة وأهل النار وعرفوه، فعل الله فيه فعلا يشبه الذبح، و الثاني: أن المراد بالحديث تمثيل عدم الموت على جهة التشبيه والاستعارة ورجح الوجه الأول، يقول: «والوجه المعني: الأول، والله أعلم» وإلى ذلك نحا القرطبي في: «تذكرته»[3]، ولأجل تدعيم

(١) «**المُعْلم بفوائد مسلم**»/ لأبي عبد الله المازري (ت: ٥٣٦هـ) / (٣/ ٣٥٨).
(٢) ينظر: «**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**»/ لأبي العباس القرطبي (ت:٦٥٦هـ)/ (٧/ ١٩٠ ١٩١).
(٣) «**التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**»/ لشمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)/ (ص: ٩٢٧).

هـذا الطـرح أضـاف الفخـر الـرازي[١]: «أن المـوت عـرض فـلا يجـوز أن يصـير جسـما حيوانيـا بـل المـراد أنـه لا مـوت البتـة بعـد ذلـك».

وبنـاء عـلى هـذه المقدمـة نفـى الإيجـي[٢] هـذه القـراءة ليقـول: «وذبـح المـوت بَـدَلٌ مـن اليـوم أو ظَـرْفٌ للحـسرة».

ولعـل الإشـكال عنـد المؤولـة يظهـر في أن الجوهـر عندهـم مـا قـام بذاتـه، والعـرض مـا قـام بغـيره، فالإِنسَـانُ جوهـر، واللـون لا يقـوم بذاتـه فهـو عـرض، وهكـذا الحيـاة والمـوت.

أمـا الشـبهة الثانيـة: فهـي أنهـم تعللـوا بـرد الخـبر عـلى ظاهـره لأنـه خـبر آحـاد[٣] وليـس بمتواتـر، فالمتكلمـة قسـموا السـنة إلى أصـول وأحـكام، فـما تحتـه حكـم فهـو قطعـي الدلالـة، وأمـا مـا يتعلـق بالأصـول فهـو ظنـي الدلالـة لا يفـضي إلى العلـم؛ لأن معظـم الآثـار الثابتـة فيهـا آحـاد وليسـت بالمتواتـر، ومـن ثـم فتحـوا البـاب عـلى مصراعيـه مـن أجـل تأويـل مـا لا يوافـق عقولهـم، ومـن بـين مـن تبنـوا هـذا التقسـيم:

-أبـو الوليـد الباجـي[٤]: حيـث اعتـبر خـبر الآحـاد لا يفيـد العلـم، متعلـلا بأنـه لـو قبـل عـلى سـبيل القطـع لاسـتوى مـع خـبر التواتـر مـع أنـه لا يسـتوي معـه في نفـس الدرجـة، يقـول: «العلـم لا يحصـل مـن جهتـه؛ إذ لـو كان يحصـل مـن جهتـه العلـم لوجـب أن يسـتوي فيـه كل مَـنْ سـمعه كـما يسـتوي في العلـم بمخـبر خـبر التواتـر، فلـما كنـا نجـد أنفسـنا غـير عالمـين بصحـة مخـبره، دل عـلى أنـه لا يقطـع عـلى معينـه، وأنـه بخـلاف التَّواتـر، وصـار خـبر الواحـد، بمنزلـة الشَّـاهد الـذي قـد أمرنـا بقَبُـول شـهادته وإن كنـا لا نقطـع عـلى صدقـه»، وإلى ذلـك نحـا أبـو المعـالي الجوينـي[٥]، وأبـو العبـاس القرطبـي[٦].

(١) «**مفاتيح الغيب**»/ فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)/ (٢١/ ٥٤١).
(٢) ينظر:«**جامع البيان في تفسير القرآن**»/ محمد الإيجي الشافعي (ت:٩٠٥هـ)/ (٢/ ٤٨٠).
(٣) «**خبر الآحاد**»: هو الذي لم يبلغ درجة التواتر.
(٤) ينظر: «**الإشارة في أصول الفقه**»/ لأبي الوليد الباجي (ت:٤٧٤هـ)/ (ص:٢٦ ٢٧).
(٥) «**التلخيص في أصول الفقه**»/ لأبي المعالي الجويني (ت:٤٧٨هـ)/ ٢/ ٣٤).
(٦) «**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**»/ لأبي العباس القرطبي (ت:٦٥٦هـ)/ (٢/ ١٢٥).

- وبناء على هذا المنهج جوز أبو بكر ابن العربي[1] المعافري -الفقيه المالكي- تأويل خبر الآحاد إذا خالف مقتضى العقل، يقول: «لما سمع الناس هذا الحديث، من ذهاب الصدر الأول، قالت طائفة: لا نقبله، فإنه خبر واحد، وأيضا فإن جاء بما يناقض العقل، فإن الموت عرض، والعرض لا ينقلب جسما، ولا يعقل فيه ذبحا، ولما استحال ذلك عقلا، وجب أن يمنح الحديث ردا، وقالت طائفة أخرى: إن كان ظاهره محالا، فإن تأويله جائز» وانتقد في كتابه: «المحصول»[2] على من ساوى بين خبر الآحاد والمتواتر واعتبر أن ذلك ناتج إما عن جهلهم بالعلم أو جهلهم بخبر الواحد، يقول: «وَهَذَا إِنَّمَا صَارُوا إِلَيْهِ بشبهتين دخلتا عَلَيْهِم إِمَّا لجهلهم بِالْعلمِ وَإِمَّا لجهلهم بِخَبَرِ الْوَاحِد فَإِنَّا بِالضَّرُورَةِ نعلم امْتنَاع حُصُول الْعلم بِخَبَرِ الْوَاحِد وَجَوَاز تطرق الْكَذِب والسهو عَلَيْهِ».

ولتأكيد ذلك احتج القرطبي[3] بقوله -تعالى﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة يونس:٣٦]، يقول[4]: «وفي هذه الآية دليل على أنه لا يكتفى بالظن في العقائد».

هذا الغيض من فيض ما قرره الأصوليون في الباب.

وقد رد علماء السنة على هاتين الشبهتين:

فبالنسبة للشبهة الأولى: وهي استشكالهم أن يأتي الموت على هيئة كبش يوم القيامة، بدعوى أن الموت عرض والأعراض لا تنقلب أجسامًا، يمكن القول أن دعواهم هذه مردودة وحجتهم في ذلك واهية لأن الذي خلق الأعراض والجواهر قادر على أن يحولها من جنس

(١) ينظر: «**العواصم من القواصم**»/ لأبي بكر ابن العربي (ت:٥٤٣هـ)/ (ص:٢٣٦).
(٢) ينظر: «**المحصول**»/ لأبي بكر ابن العربي (ت:٥٤٣هـ)/ (ص:١١٧).
(٣) ينظر: «**الجامع لأحكام القرآن**»/ لشمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)/ (١٦/ ٣٣٢).
(٤) «**الجامع لأحكام القرآن**»/ لشمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)/ (٨/ ٣٤٣).

لآخر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما ذكرتموه خطأ في المعقول والمنقول؛ إذ الصواب أن الأجسام أجناس مختلفة كالأعراض، وليس حقيقة الذوات كحقيقة الماء، وأن الله -سبحانه- يقلب الجنس إلى الجنس الآخر؛ كما يقلب الهواء ماء، والماء هواء، والنار هواء، والهواء نارًا، والتراب ماء، والماء ترابًا، وكما يقلب المني علقة، والعلقة مضغة، والمضغة عظامًا... فهو سبحانه يخلق من الأعراض أجسامًا كما ورد بذلك النصوص في مواضع كقوله -عليه السلام-: «**اقرؤوا القرآن، اقرؤوا البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان[٢] أو فرقان[٣] من طير صواف يحاجان عن صاحبهما**»[٤]، وقال: «**إنَّ لَسُبْحَانَ الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر دويًّا عند العرش تذكر صاحبها**»[٥]، وقال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله**

(١) «**المسائل والأجوبة**»/ لابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)/ (١/ ١٢٩ ١٣٠).

(٢) «**غيايتان**»: من الغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه مثل السحابة. ينظر: «**غريب الحديث**»/ للابن سلام/ (مادة: غيي).

(٣) «**فرقان**»: أي قطعتان. ينظر: «**النهاية في غريب الحديث والأثر**»/ لابن الأثير (ت:٦٠٦هـ)/ (مادة: فَرِقَ).

(٤) أخرجه **مسلم** في: (كتاب: صلاة المسافرين وقصرها/ باب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة/ ح:١٨٨٤)، من حديث أبي أُمامة الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) «صحيح»: أخرجه ابن المبارك في: «**الزهد**»/ قباب: ذكر رحمة الله تبارك وتعالى وجل وعلا/ ح:٩٣٢)، من طريق أبي عمر بن حَيَوَيْه، عن يحيى، عن الحسين، عن عبد الله، عن سعيد الجُرَيْري قال: بلغنا عن كعب الأحبار.

قلت: أبو عمر الخزاز ابن حيويه: وثقه الخطيب في:«**تاريخه**»/ (٤/ ٢٠٥)، ويحيى ابن صاعد وصفة الخطيب بأنه أحد حفاظ الحديث.«**تاريخ بغداد**»/ (١٦/ ٣٤١)، والحسين بن الحسن، أبو عبد الله المروزي: صدوق.«**التقريب**»/ (ص:١٨٤)، وعبد الله بن المبارك من الثقات الأثبات.«**التقريب**»/ (ص:٤٢٣)، وسعيد بن إياس الجُرَيْرِي: من الثقات، اختلط قبل موته بثلاث سنين.«**التقريب**»/ (ص:٢٨٥)، وعلق الألباني على هذا الأثر بعد أن أورده في:«**مختصر العلو**»/ (ص:١٢٩)، وذكر بأنه ثابت عن كعب الأحبار.

وأخرجه بنحوه، ابن ابي شيبة في:«**مصنفه**»/ (في ثواب التسبيح/ ح:٢٩٤١٥ و٣٥٠٣٧)، وأحمد في:«**مسنده**»/ (أول مسند الكوفيين/ حديث النعمان بن بشير/ ح:١٨٣٦٢ و١٨٣٨٨)، وابن ماجة في:«**سننه**»/ (باب: فضل التسبيح/ ح:٣٨٠٩)، والبزار في:«**البحر الزخار**»/ (مسند النعمان بن بشير/ ح:٣٢٣٦)، من طرق عن موسى بن مسلم الحزامي، عن عون بن عبد الله، عن أبيه أو عن أخيه، عن النعمان بن بشير، قال -واللفظ لابن أبي شيبة : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ...**»

قال البوصيري في:«**مصباح الزجاجة**»/ (٤/ ١٣٢): إسناده صحيح، رجاله ثقات، وأخو عون اسمه عبيد الله بن عتبة.

قلت: موسى بن مسلم الحزامي، أبو عيسى الكوفي، قال ابن معين: لا بأس به.«**تهذيب الكمال**»/ (٢٩/ ١٥٣)، ومعناه - عند ابن معين أنه ثقة.«**معرفة أنواع علوم الحديث**» (**مقدمة ابن صلاح**)»/ (ص:٢٤٤)، وعون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي: من الثقات.«**التقريب**»/ (ص:٦٠١)، وأبوه أيضا وثقه العجلي وجماعة.«**التقريب**»/ (ص:٤١٠)، وإذا كان رواه عن أخيه: عبيد الله فهو أيضا: ثقة.«**التقريب**»/ (ص:٥٠٩)، وقد نحا الشيخ الألباني إلى تصحيحه في:«**سلسلة الأحاديث الصحيحة**»/ (٧/ ١٠٧٧)، فأثر كعب له شاهد من حديث النعمان ابن بشر كما تبين، ومن تم فالخبر حسن، والله أعلم.

العظيم»[1]، وقد قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر:١٠]».

والسلف الصالح لم يثيروا مثل هذه الشبهات ولم يبحثوا في الكيف ليقينهم بأن ذلك غيب لا تدركه عقولهم، لهاذ لما تناول ابن القيم[2] رَحِمَهُ اللَّهُ هذا المبحث استشهد فيه بهذه الآية وبحديثي أبي سعيد الخدري وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في تفسيرها، واعتبر أن تأويل الكبش بملك الموت استدراك فاسد وتأويل باطل يقول: «ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل وسببه قله الفهم لمراد الرسول من كلامه».

وتعجب ممن منع تجويز تأويل أقوال أصحاب العلوم، خوفا من عدم فهم مرادهم، بينما أباح تأويل كلام من لا يجوز عليه الخطأ والنسيان؟! يقول[3]: «فكيف يسلط التأويل على كلام من لا يجوز عليه الخطأ والغلط والتناقض وضد البيان والإرشاد هذا مع كمال علمه وكمال قدرته على أعلى أنواع البيان وكمال نصحه وهداه وإحسانه وقصده الإفهام والبيان لا التعمية والإلغاز... كما أن التأويل إن سلط على علوم الخلائق أفسدها فكذلك إذا استعمل في مخاطباتهم أفسد الأفهام والفهم ولم يمكن لأمة أن تعيش عليه أبدا فإنه ضد البيان الذي علمه الله الإنسان لقيام مصالحه في معاشه ومعاده».

ولم يكتف ابن أبي العز الحنفي[4] بأن ينحو منحاهما؛ بل أغنى هذه القراءة بأدلة أخرى، وذلك بعد أن ناقش شبهتهم يقول: «الموت صفة وجودية، خلافا للفلاسفة ومن وافقهم. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك:٢]، والعدم لا يوصف بكونه مخلوقا، وفي

(١) «متفق عليه»: أخرجه **البخاري** في عدة كتب منها: (كتاب: الدعوات/ باب: فضل التسبيح/ ح:٦٤٠٦)، و**مسلم** في: (كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء/ ح:٦٨٨٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: «**حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**»/ لابن القيم (ت:٧٥١هـ)/ (ص:٤٠١ ٤٠٢).

(٣) ينظر: «**الصواعق المرسلة**»/ لابن القيم (ت:٧٥١هـ)/ (٢/ ٣٩٩ ٤٠٠).

(٤) ينظر: «**شرح العقيدة الطحاوية**»/ لابن أبي العز الحنفي (ت:٧٩٢هـ)/ (ص:٧٩).

الحديث: أنه «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**»، وهو وإن كان عرضا فالله - تعالى - يقلبه عينا، كما ورد في العمل الصالح: «**أَنَّهُ يَأْتِي صَاحِبَهُ فِي صُورَةِ الشَّابِّ الْحَسَنِ، وَالْعَمَلُ الْقَبِيحُ عَلَى أَقْبَحِ صُورَةٍ**»[(١)]، وورد في القرآن: «**أَنَّهُ يَأْتِي عَلَى صُورَةِ الشَّابِّ الشَّاحِبِ اللَّوْنِ**» الحديث[(٢)]، أي قراءة القارئ، وورد في الأعمال: أنها توضع في الميزان[(٣)]، والأعيان هي التي تقبل الوزن دون الأعراض. وورد في سورة البقرة وآل

(١) «صحيح»: أخرجه ابن المبارك في:«**الزهد والرقائق**»/ (باب: فضل ذكر الله عز وجل/ ح:**١٢١٩**)، وأبو داود الطيالسي في:«**مسنده**»/ (البراء بن عازب/ ح:٧٨٩)، وابن أبي شيبة في:«**مصنفه**»/ (في نفس المؤمن وكيف تخرج ونفس الكافر/ ح:١٢٠٥٩)، وأحمد في:«**مسنده**»/ (أول مسند الكوفيين/ حديث البراء بن عازب/ ح:١٨٥٣٤)، وأبو داود في:«**سننه**»/ (كتاب: السنة/ باب: في المسألة في القبر وعذاب/ ح:٤٧٥٣)، وابن مندة في:«**الإيمان**»/ (ذكر وجوب الإيمان بالسؤال في القبر/ ح:١٠٦٤)، والبيهقي في:«**إثبات عذاب القبر**»: (باب: الدليل على أنه تعاد روحه في جسده ثم/ ح:٤٤)، من طرق، عن الأعمش، عن المنهال ابن عمرو، عن زاذان أبي عمر، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

قلت: الأعمش: سليمان بن مهران مضى ترجمته وهو ثقة مدلس، والمنهال بن عمرو الأسدي: صدوق ربما وهم.«**التقريب**»/ (ص:٧٧٨)، وزاذان أبو عمر الكندي: صدوق يرسل، وفيه شيعية.«**التقريب**»/ (ص:٢٥٧)، وهو يحدث عن الصحابي الجليل: البراء بن عازي، قال ابن مندة في:«**الإيمان**»/ (ح:١٠٦٤)، عقب إيراده للحديث:« هَذَا إِسْنَادٌ مُتَّصِلٌ مَشْهُورٌ. رَوَاهُ جَمَاعَةٌ، عَنِ الْبَرَاءِ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ عِدَّةٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، وَعَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْمِنْهَالُ أَخْرَجَ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ مَا تَفَرَّدَ بِهِ، وَزَاذَانُ أَخْرَجَ عَنْهُ مُسْلِمٌ، وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى رَسْمِ الْجَمَاعَةِ. وَرُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ جَابِرٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ »، لهذا نحا ابن القيم في:«**إعلام الموقعين**»/ (٢/ ٣٠٨)، إلى القول: وهذا حديث صحيح، وهذا ما خلص إليه الألباني في تعليقه على:«**المشكاة**»/ (١/ ٥١٢)، و«**أحكام الجنائز**»/ (ص:١٥٩)، و«**صحيح سنن أبي داود**»/ (٣/ ١٦٦).

(٢) «إسناده حسن»: أخرجه ابن أبي شيبة في:«**مصنفه**»/ (من قال: يشفع القرآن لصاحبه يوم القيامة/ ح:٣٠٠٤٥)، وأحمد في:«**مسنده**»/ (مسند الأنصار/ حديث بريدة الأسلمي/ (ح:٢٢٩٧٦)، وابن ماجة في:«**سننه**»/ (كتاب: الأدب/ باب: ثواب القرآن/ ح:٣٧٨١)، من طرق، عن بشير بن مهاجر، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قَالَ واللفظ لابن أبي شيبة : **كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:« إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ ...»**

قال البوصيري في:«**مصباح الزجاجة**»/ (٤/ ١٢٦): هذا إسناد رجاله ثِقات، وهو ما نحا إليه ابن حجر في:«**المطالب العالية**»/ (١٤/ ٣٢٤)، والألباني في:«**صحيح سنن ابن ماجة**»/ (٣/ ٢٣٩)، ولرواية بريدة شاهد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه الطبراني في:«**الأوسط**»/ (من اسمه: محمد/ ح:٥٧٦٤)، من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن شريك، عن عبد الله بن عيسى، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مرفوعا.

قال الهيتمي في:«**مجمع الزوائد**»/ (٧/ ١٦٠): رواه الطبراني في:«**الأوسط**»، وفيه يحيى بن عبد العزيز الحماني، وهو ضعيف، لكن الألباني عارضه من وجهين: الأول: قوله: ابن عبد العزيز، وإنما هو ابن عبد الحميد كما في كتب الرجال، ولعله سبق قلم من المؤلف، أو خطأ من الناسخ. والآخر: أن الطبراني قد صرح بأن الحماني قد تابعه يزيد بن هارون، وهو ثقة من رجال الشيخين، فإعلال الحديث بالحماني خطأ واضح، والصواب تضعيفه بشريك، وهو ابن عبد الله القاضي، وهو ضعيف لسوء حفظه. لكن الحديث حسن أو صحيح، لأن له شاهدا من حديث بريدة بن الحصيب مرفوعا بتمامه.«**السلسلة الصحيحة**»/ (٦/ ٧٩٣).

(٣) ورد في هذا الباب أحاديث تنص على أن الأعمال توضع في الميزان يوم القيامة منها:

«إسناده صحيح»: ما أخرجه ابن أبي شيبة في:«**مصنفه**»/ (ما ذكر في حسن الخلق وكراهية الفحش/ ح:٢٥٣٢٣)، وأحمد في:«**مسنده**»/ (الملحق المستدرك من مسند الأنصار/ ح:٢٧٥١٧ وح:٢٧٥٣٢)، وأبو داود في:«**سننه**»/ (أول كتاب: الأدب/ باب: في حسن

عمـران[1]: «أَنَّهَـا تُوضَـعُ فِي الْمِيـزَانِ»، والأعيـان هـي التـي تقبـل الـوزن دون الأعـراض...».

أمـا عـن الشـبهة الثانيـة: وهـي أن خـبر الواحـد يفيـد الظـن ولا يوجـب العلـم، فيجـاب عنهـا، أن أهـل السـنة بـدءا مـن الصحابـة إلى مـن سـار عـلى دربهـم مـن التابعـين لم يفرقـوا بـين حديـث الآحـاد وحديـث التواتـر فشرطهـم الأسـاس هـو ثبـوت صحتـه، وهـذا هـو المشـهور عنهـم ولعـل أبـرز هـؤلاء؛ العَلَـم الأصـولي: الإمـام الشـافعي[2] يقـول: «إذا صـح الحديـث فهـو مذهبـي، وإذا صـح الحديـث فاضربـوا بقـولي الحائـط»، وكذلـك ابـن حـزم حـين بسـط هـذه المسـألة في كتابـه: «الإحـكام»[3]، إذ عـد أن المعيـار في قبـول الرويـة أو ردهـا هـو مـدى ثبوتهـا، فـإذا ثبـت صحـة الخـبر ترتـب عليـه العلـم والعمـل سـواء في العقائـد أو الأحـكام، يقـول: «إن كل خـبر رواه الثقـة عـن الثقـة مسـندا إلى رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الديانـة فإنـه حـق قـــــد قالـه -عليـه السـلام- كـما هـو وأنـه يوجـب العلـم ونقطـع بصحتـه».

فالسـلف الصالـح لم يلتفتـوا إلى مثـل هـذه التقسـيمات البدعيـة، فـما ثبتـت صحتـه ترتـب عليـه العلـم والعمـل، يقـول شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة[4]: «ثُـمَّ هِـذه الأحاديـث مُنْقَسِـمَةٌ إِلَى: اتفـاق

الخلق/ح:٤٧٩٩)، وابن أبي عاصم في:«**السنة**»/ (باب: ذكر الميزان/ح:٧٨٣)، واللالكائي في:«**شرح أصول اعتقاد أهل السنة**»/ (سياق ما روي في أن الإيمان بأن الحسنات/ح:٢٢٠٧)، من طرق عن شعبة، عن القاسم بن أبي بزة، عن عطاء الكَيخاراني، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عـن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال:«**ما مِنْ شيءٍ أثقلُ في الميزانِ مِن حُسنِ الخُلُقِ**»

قلت: شعبة بن الحجاج: أمير المؤمنين في الحديث.«**التقريب**»/ (ص:٣٣٩)، والقاسم بن أبي بزة من الثقات.«**التقريب**»/ (ص:٦٢٧)، وعطاء بن نافع الكَيْخَارَانِي: من الثقات.«**التقريب**»/ (ص:٥٣٩)، وأم الدرداء: هُجَيْمَة ثقة فقيهة.«**التقريب**»/ (ص:١٠٥٢)، تروي عن زوجها أبي الدرداء الصحابي الجليل، قال أبو بكر ابن أبي عاصم في:«**السنة**»/ (٢/ ٣٦٣)، عقب روايته لحديث أن الخلق الحسن يوضع في الميزان:«الْأَخْبَارُ الَّتِي فِي ذِكْرِ الْمِيزَانِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ صِحَاحٌ، لَا تَذْهَبُ عَنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْأَخْبَارِ لِكَثْرَتِهَا وَصِحَّتِهَا وَشُهْرَتِهَا، وَهِيَ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي تُوجِبُ الْعِلْمَ عَلَى مَا ذَكَرْنَا»، فإسناده صحيح وهذا ما نحا إليه أيضا الألباني في:«**السلسلة الصحيحة**»/ (٢/ ٥٣٥)، و«**صحيح سنن أبي داود**»/ (٣/ ١٧٩).

(١) أخرج مسلم في: (كتاب: صلاة المسلمين وقصرها/ باب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة/ح: ١٨٨٦)، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يَقُولُ:«**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ**»

(٢) «**شرح مسند الشافعي**»/ لأبي القاسم الرافعي القزويني (ت:٦٢٣هـ)/ (١/ ١٩).

(٣) ينظر: «**الإحكام في أصول الأحكام**»/ لابن حزم (ت:٤٥٦هـ)/ (١/ ١٢٣).

(٤) «**رفع الملام عن الأئمة الأعلام**»/ لابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ (ص:٤٥).

العلماء على العلم والعمل بالأحاديث القطعية، بِأَنْ يَكُونَ قَطْعِيَّ السَّنَدِ وَالْمَتْنِ وَهُوَ مَا تَيَقَّنَّا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ وَتَيَقَّنَّا أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ تِلْكَ الصُّورَةَ» وحديث ذبح الموت قد ورد في الصحيحين، وقد اتفقت الأمة على أن جمهور ما ورد فيهما يعد أصح ما أوثر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول ابن تيمية[1]: «.. فإن جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة جمهور أحاديث الكتابين وسائر الناس تَبَعٌ لهم في معرفة الحديث...»

فهذه كلها شواهد استدل بها السلف الصالح لرد شبهات المؤولة، وتثبت أن العرض يمكن أن يتحول إلى جوهر بدليل ما أورده ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ من أدلة حديثية في الباب وكذلك من أتى بعده، ولكون الحديثين المستدل بهما في هذه المسألة الغيبية من رواية الشيخين، والسلف لم يفرقوا فيهما بين الآحاد والمتواتر؛ فالضابط عندهم في القبول أو الرد هو مدى نسبة هذا الخبر إلى المعصوم.

وتبين كذلك أن منهج أهل السنة في التعامل مع هذا الخبر هو تمرير القراءة على ظاهرها دونما تأويل أو بحث في الكيف الذي لا يعلمه إلا الحق -سبحانه وتعالى-، ولا يَعْنُونَ بقولهم: «ولا تفسر»، أنه لا يفهم لها معنى، بل يقصدون عدم تفسيرها بخلاف ظاهرها الذي تدل عليه .

وكذلك كان دأبهم في إثبات باقي المسائل الغيبية منها إثبات «عذاب القبر»، فهل وافقهم أهل الكلام في تمرير الخبر على ظاهره أم عمدوا إلى التعطيل؟ هذا ما سيتبين في المبحث التالي.

(١) «**مجموع الفتاوى**»/ لابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ (١٨/ ١٦ ١٧).

المبحث الثاني:

منهج أهل السنة وأهل الكلام في التعامل مع خبر:

«عذاب القبر»

بأي منهج أقر السلف الصالح هذا العذاب، ولماذا أنكر المعطلة هذا الخبر؟ هل السبب في ذلك هو اختلافهم في المنهج؟ هذا ما سيتم تناوله في المطلبين التاليين.

المطلب الأول: منهج أهل السنة في إثبات خبر: «عذاب القبر»

اعتمد أهل السنة في تقرير هذه المسألة على ما أخبر به -سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز، وما بينته السنة الصحيحة، وسأكتفي بإيراد دليلين في الباب:

الدليل الأول: قوله -تعالى-: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا﴾[سورة غافر:٤٦]، ولا شك أنها أصرح آية مثبتة لعذاب القبر، وقد استعان أهل السنة في بيانها بالحديث الذي رواه الشيخان[١]، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»

ومن أبرز من اعتمد هذا الحديث لتفسير الآية الكريمة:

-أبو بكر بن مجاهد[٢]، يقول: «أجمع أهل السنة أن عذاب القبر حق، وأن الناس يُفتنون في قبورهم بعد أن يحيوا فيها ويُسألوا فيها، ويُثَبِّتُ الله من أحب تثبيته منهم».

---

(١) «متفق عليه»: أخرجه الشيخان؛ البخاري في: (كتاب: الجنائز/ باب: الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي/ ح:١٣٧٩)، ومسلم في: (كتاب: صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه/ ح:٧٢٤٥).

(٢) ينظر: «**شرح صحيح البخاري**»/ لابن بطال (ت:٤٤٩هـ)/ (٣/ ٣٥٨).

-وأبو جعفر الطبري[١] يقول: «يقول تعالى ذكره مبيِّنا عن سوء العذاب الذي حلّ بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) إنهم لما هلكوا وغرقهم الله، جعلت أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تعرض على النار كلّ يوم مرتين (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) إلى أن تقوم الساعة».

-وأضاف أبو إسحاق الزجاج[٢] اللغوي الحصيف نكتة فريدة لتأكيد هذا المعنى إذ ذكر أن لفظة: «ادخلوا» تقرأ: «على معنى الأمر لهم بالدخول، كأنَّه ويوم تقوم الساعة يقول: ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب».

-ولم يخالفهم أبو الليث السمرقندي[٣] فقد استدل لتقرير ذلك بما أوثر عن ابن عباس وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقتادة ومجاهد، في حين احتج ابن أبي زمنين[٤] في بيان الآية بحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا السالف الذكر دونما تأويل أو تعطيل.

ولم يكتف ابن حزم[٥] بتقرير عذاب القبر[٦]، بل تعقب المنكرين بالقول: «..وإنما هلك من هلك بأخذه آية وتركه أخرى، وأخذه حديثاً وتركه آخر، وأخذه آية وتركه حديثاً يبينها، وأخذه حديثاً وتركه آية، وهذا خطأ لا يحل، وإنما الفرض على المسلمين أخذ كل ما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قرآن وسنة وضم كل ذلك بعضه إلى بعض».

يظهر أن السلف اتفقوا على أن هذه الآية من الأدلة القاطعة على عذاب القبر، لهذا قال

(١) ينظر:«**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (٢١/ ٣٩٥)، و«اعتقاد أئمة الحديث»/ لأبي بكر الجرجاني (ت: ٣٧١هـ)/ (ص:٦٩ ٧٠).و«الإبانة عن أصول الديانة»/ لأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)/ (ص:٢٤٩ ٢٥٠).

(٢) ينظر:«**معاني القرآن وإعرابه**»/ لأبي إسحاق الزجاج (ت:٣١١هـ)/ (٤/ ٣٧٦).

(٣) ينظر:«**بحر العلوم**»/ لأبي الليث السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)/ (٣/ ٢٠٨)، و«معالم التنزيل في تفسير القرآن» / للإمام البغوي (ت: ٥١٠هـ)/ (٧/ ١٥٠ ١٥١)..

(٤) ينظر:«**أصول السنة**»/ لابن أبي زمنين (ت:٣٩٩هـ)/ (ص: ١٣٤ ١٣٥).

(٥) ينظر:«**رسائل ابن حزم**»/ لابن حزم (ت:٤٥٦هـ)/ (٣/ ٢١٩).

(٦) قلت: إن ابن حزم وإن أثبت عذاب القبر إلا أنه نفى أن يكون جسديا، وسيأتي الكلام عن ذلك في المطلب الثاني عند تناول قضية: هل العذاب يشمل الروح أو الجسد أم هما معا؟

شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: «وَهَذِه الْآيَة أحد مَا اسْتدلَّ بِهِ العلمَاء على عَذَاب البرزخ».

والدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة التوبة:١٠١]،

قال أبو حنيفة[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قَالَ لَا أعرف عَذَاب الْقَبْر فَهُوَ من الْجَهْمِية الهالكة لِأَنَّهُ أنكر قَوْله تَعَالَى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ ، يَعْنِي عَذَاب الْقَبْر»، لهذا أوردها الإمام البخاري[3] في باب: «ما جاء في عذاب القبر»، وهو ما فهمه منها جمهور المفسرين منهم؛ أبو جعفر الطبري[4] وابن أبي زمنين[5] حيث اعتبرا أن هذه الآية من الأدلة المثبتة لعذاب القبر.

وإذا كان أهل السنة قد توافقوا على أن عذاب القبر ونعيمه حق، وأن المؤمن والكافر والمنافق كلهم يسألون في قبورهم، فإن بعض المتكلمة أولوا بيان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الآية ولم يسلموا بأن الطريق الأوحد لمعرفة حقيقتها هو كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف تعامل هؤلاء مع الأدلة السمعية التي تثبت عذاب البرزخ؟ وكيف رد أهل السنة على شبهاتهم؟

هذا ما سيتم الفصل فيه -بإذن الله تعالى- في المطلب التالي.

---

(١) «**دقائق التفسير**» لابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ (٢/ ٢٥٥).
(٢) «**الفقه الأكبر**»/ لأبي حنيفة النعمان (ت:١٥٠هـ)/ (ص:١٣٧).
(٣) «**صحيح البخاري**»/ لأبي عبد الله البخاري (ت:٢٥٦هـ)/ (٢/ ٩٧).
(٤) «**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (١٤/ ٤٤١).
(٥) ينظر:«**أصول السنة**»/ لابن أبي زمنين (ت:٣٩٩هـ)/ (ص:١٥٤).

المطلب الثاني: منهج أهل الكلام في تعطيل هذا الخبر ورد أهل السنة على شبهاتهم.

ذكر أبو الحسن الأشعري في: «إبانته»[١] أن المعتزلة جميعهم أنكر هذه المسألة، لكن الحقيقة أن الإنكار شمل بعضهم ممن نقلت كتب التراجم والأصول أسماءهم منهم؛

-ما ذكره الملطي[٢] في: «**التنبيه والرد**» يقول: «وأنكر جهم[٣] عذاب القبر ومنكرا ونكيرا، وقال: أليس يقول: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ [سورة الدخان: ٥٦]».

-و ضرار بن عمرو الغطفاني: يقول القاضي عبد الجبار[٤]: «..إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو[٥] وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة».

-وبشر المريسي[٦]: لهذا نقض عليه أبو سعيد الدارمي[٧] مقالته وفند مزاعمه.

-وأبو بكر الأصم[٨]: حيث روى ابن بطال[٩]، عن أبي عثمان ابن الحداد[١٠] أنه كان ينكر عذاب القبر.

---

(١) ينظر: «**الإبانة عن أصول الديانة**»/ لأبي الحسن الأشعري (ت:٣٢٤هـ)/ (ص:٢٤٧).

(٢) «**التنبيه والرد**»/ للملطي (ت:٣٧٧هـ)/ (ص:١٢٤).

(٣) «جهم بن صفوان»: أبو محرز الراسبي السمرقندي، الضال المبتدع، رأس الجهمية، كان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، وقد كانت نهايته على يد سلم بن أحوز؛ لإنكاره أن الله كلم موسى. ينظر ترجمته: «**سير أعلام النبلاء**»/ (٦/ ٢٧).

(٤) ينظر: «**شرح الأصول الخمسة**»/ للقاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥هـ)/ (ص:٧٣٠).

(٥) «ضرار بن عمرو»: شيخ الضرارية، له مقالات خبيثة، منها؛ إنكاره عذاب القبر، له تصانيف كثيرة تؤذن بذكائه، لكن لم ينفعه ذلك. ينظر ترجمته: «**الفصل**»/ لابن حزم/ (٤/ ٥٥ ٥٦)، و«**سير أعلام النبلاء**»/ (١٠/ ٥٤٤ ٥٤٦).

(٦) «بشر المريسي»: هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث المريسي، رأس الطائفة المريسية المرجئة، وصفه العجلي بأنه كان دميم المنظر، وسخ الثياب، وافر الشعر، أشبه شيء باليهود. توفي سنة ثمانية عشر ومائتين: (٢١٨هـ). ينظر ترجمته: «**تاريخ بغداد**»/ للخطيب (ت:٤٦٣هـ/ (٢/ ٤٠٤)، و«**سير أعلام النبلاء**»/ للذهبي (ت:٧٤٨هـ)/ (١٠/ ١٩٩).

(٧) ينظر: «**نقض أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي**»/ للدارمي (ت:٢٨٠هـ)/ (ص:٢٤).

(٨) «أبو بكر الأصم»: هو عبد الرحمن بن كيسان، من طبقة أبي الهذيل العلاف أو أقدم منه، من مقالاته: «كل من جحد رسالته فهو مشرك..» ومن أبرز تلامذته إبراهيم بن إسماعيل ابن عُلَيَّة، من كتبه: «**خلق القرآن**»، وكتاب: «**الحجة والرسل**»، مات سنة إحدى ومائتين (٢٠١هـ). ينظر ترجمته: «**تاريخ دمشق**»/ لابن عساكر (ت:٥٧١هـ)/ (٥٣/ ٣٥٩)، و«**سير أعلام النبلاء**»/ (٨/ ١٢٣).

(٩) ينظر: «**شرح صحيح البخاري**»/ لابن بطال (ت:٤٤٩هـ)/ (٣/ ٣٥٨).

(١٠) «أبو عثمان بن الحداد»: هو سعيد بن محمد الغساني، من أهل القيروان، كان مناظرا، قويّ الحجة في علوم الدين واللغة، وكان كثير الرد على أهل البدع والمخالفين للسنة، وقد اشتهر بجدله لبعض علماء الدولة الفاطمية (العبيدية) في بدء قيامها، من مؤلفاته: «توضيح المشكل في القرآن»، توفي سنة اثنين وثلاث مائة (ت:٣٠٢هـ). ينظر ترجمته: «**الأعلام**»/ للزركلي (ت:١٣٩٦هـ)/ (٣/ ١٠٠).

-وزاد شمس الدين القرطبي[1] يحيى بن كامل[2].

فليس كل المعتزلة أنكروا عذاب القبر، لهذا استنكر التفتازاني[3] على من اتهمهم أنهم ينفون خبر «عذاب القبر»، وندد أن يُنْسَبَ ضِرَارٌ إلى المعتزلة يقول: «وإنما نُسِبَ إلى المعتزلة وهم براء منه لمخالطة ضرار إياهم وتبعه قوم من السفهاء المعاندين للحق».

وهذا الاستنكار يثبت أن الجهمية والضرارية ومن سبق ذكرهم هم الذي أنكروا عذاب القبر، يعضده أن من المعتزلة القدرية[4] من أقر عذاب القبر منهم؛ أبو القاسم الكعبي[5] وأبو علي الجبائي[6] وابنه أبو هاشم[7]، والقاضي عبد الجبار[8]، وصالح القبة[9].

وهذا صحيح؛ إذ باستقرائي لبعض كتبهم تبين أنهم يثبتون عذاب القبر -وإن اختلفوا في طريقة إثباته-، ومن هؤلاء المعتزلة؛

---

(١) ينظر:«**التذكرة**»/ لشمس الدين القرطبي (ت: ٦٨١هـ)/ (ص:٣٧٩ ٣٨٠).

(٢) «يحيى بن كامل»: كان من أصحاب المريسي، ثم انتقل إلى مذهب الإباضية، من أقواله أن الله كلف العباد ما لا يقدرون عليه، توفي في حدود أربعين ومائتين: (٢٤٠ هـ). ينظر ترجمته:«**مقالات الإسلاميين**»/ لأبي الحسن الأشعري/ (١/ ٩٩).

(٣) «**شرح المقاصد في علم الكلام**»/ سعد الدين التفتازاني (ت:٧٩٣هـ)/ (٥/ ١١٣).

(٤) ينظر:«**التذكرة**»/ لشمس الدين القرطبي (ت:٦٨١هـ)/ (ص:٣٧٩).

(٥) «أبو القاسم البلخي»: هو عبد الله بن أحمد، رأس المعتزلة، أخذ عن أبي الحسن الخياط، وروى عنه: محمد بن زكريا، من أقواله الشنيعة: إرادة الله ليست من صفات ذاته... توفي سنة تسعة عشرة وثلاث مائة (ت:٣٢٩هـ). ينظر ترجمته:«**السير**»/ (١٥/ ٢٥٥).

(٦) «أبو علي الجبائي»: هو محمد بن عبد الوهاب، أخذ عن: يعقوب الشحام، وأخذ عنه ابنه أبو هاشم، توفي سنة ثلاث وثلاث مائة (ت:٣٠٣هـ). ينظر ترجمته:«**سير أعلام النبلاء**»/ (١٤/ ١٨٣).

(٧) «ابنه أبو هاشم»: هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، من مؤلفاته: كتاب:«الجامع الكبير»، وكتاب:«العرض»، توفي ببغداد سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة (ت:٣٢١هـ). ينظر ترجمته:«**سير أعلام النبلاء**»/ (١٤/ ١٨٣).

(٨) «القاضي عبد الجبار»: هو ابن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، شيخ المعتزلة، سمع من علي القطان، وعبد الرحمان بن الجلاب وغيرهما، وحدث عنه: أبو القاسم التنوي، وغيره، وتصانيفه كثيرة لعل أبرزها:«شرح الأصول الخمسة»، مات سنة خمس عشرة واربع مائة (ت:٤١٥هـ). ينظر ترجمته:«**سير اعلام النبلاء**»/ (١٧/ ٢٤٤).

(٩) «صالح القبة»: هو أبو جعفر محمد بن قبة، من متكلمي الشيعة القدرية، ذكر الأشعري أن سبب تلقيبه بـ:«ابن القبة» لأنه لما قيل له:«ما تنكر أن تكون في هذا الوقت بمكة جالساً في قبة قد ضربت عليك وأنت لا تعلم ذلك لأن الله سبحانه لم يخلق فيك العلم به هذا وأنت صحيح سليم غير مأوف قال: لا أنكر فلقب بِقُبَّة» أخذ عن النظام المعتزلي، وخالف المعتزلة أيضا في مسألة التولد، من آثاره:«كتاب الإنصاف في الإمامة».. ينظر ترجمته:«**مقالات الإسلاميين**»/ (١/ ١٨١)، و(٢/ ٢٨٥ و٢٩٩ ٣٠٠)، و«**الفهرست**»/ (ص:٢١٩)، و«**طبقات المعتزلة**»/ (ص:٧٣).

- القاضي عبد الجبار[١]: حيث ذهب إلى أن عذاب القبر يشمل كل المكلفين، يقول: «والدلالة التي تعم، قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[سورة غافر:١١]، ولا تكون الإماتة والإحياء إلا وفي إحدى المرتين إما التعذيب في القبر أو التبشير على ما نقوله»، لكنه خالف أهل السنة حين اعتبر أن الآية: (٤٦)، من سورة غافر تخص آل فرعون-، يقول[٢]: «ووجه دلالته على عذاب القبر ظاهر غير أنه يختص بآل فرعون ولا يعم جميع المكلفين» وخالفه الزمخشري[٣] حيث استدل بها على إثبات عذاب القبر لجميع المكلفين دونما استثناء، يقول: «ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر».

-كما أثبت عذاب القبر صالح القبة وهو من المعتزلة القدرية، يقول: «عذاب القبر جائز ويجري على المؤمنين من غير رد الأرواح إلى أجسادها، وقال: إن الميت يجوز أن يحس ويألم، وهو خلاف الضرورة»[٤].

ولم يكن إنكار هؤلاء عار من الدليل، فقد احتجوا بشبه عدة، سأعمل على ذكر أبرزها:

الشبهة الأولى: أن الإنسان لن يتعرض إلا لموتة واحدة، واستدلوا بقوله- تعالى-: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[سورة الدخان: ٥٦].

والشبهة الثانية: أنهم فهموا من قوله -عز وجل-: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [سورة فاطر: ٢٢]، أنه ليس ثمة عذاب للقبر.

والشبهة الثالثة: احتجاجهم بقوله -تعالى-: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[سورة غافر:١١]، بدعوى أن إحدى الإماتتين إنما هي خلق الله -تعالى- الخلق من نطفة هي موات، ومن ثم فلا عذاب قبل يوم القيامة.

(١) ينظر:«**شرح الأصول الخمسة**»/ للقاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥هـ)/ (ص:٧٣٠- ٧٣١).
(٢) المصدر نفسه: (ص:٧٣٠).
(٣) ينظر:«**الكشاف**»/ للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)/ (٤/ ١٧٠).
(٤) «**شرح العقيدة الكبرى**»/ لأبي عبد الله السنوسي (ت: ٨٩٥هـ)/ (ص:٤٤٢).

والشبهة الرابعة: وجود تعارض بين رواية أحمد لحديث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي تضمنت إنكار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بداية لعذاب القبر ثم تقريره إياه في آخر الرواية، وبين رواية البخاري المقررة لهذا العذاب.

أما الشبهة الخامسة والأخيرة: إنكارهم أن يشمل عذاب القبر الروح والجسد، بدعوى أن المصلوب لا يظهر عليه شيء، وقد بسط القاضي عبد الجبار[1] بعض الأمثلة التي تعرض شبهتهم هاته، من ذلك؛ أن التعذيب يقتضي أن يكون ظاهرا على جسد الميت، والحال أن النباش[2] لا يجد ذلك، كما أن المصلوب والميت الذي لم يدفن بعد، المفروض أن يُسمع أنينه وأن يشاهدَ اضطرابَهُ كل واحد، والمعلوم أن اضطراب المعَاقَب لا يُرَى، ولا يسمع له أنين البتة، فكيف يكون معذبا؟!

وقد تولى أهل السنة الرد على هذه الشبهات بمقتضى الوحيين.

فبالنسبة للشبهة الأولى: فهي مردودة عليهم؛ لأن سياق الآية يفند مزاعمهم، فهي تخاطب أهل الجنة بأنهم لن يذوقوا موتا في الجنة غير التي ذاقوها في الدنيا، وهو مذهب جمهور المفسرين، لعل أبرزهم:

-ابن قتيبة الدينوري في كتابه: «**تأويل مشكل القرآن**»[3] يقول: « وأما قوله: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾[سورة الدخان: ٥٦]، فإن (إلّا) في هذا الموضع أيضا بمعنى (سوى)، ومثله:﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٢٢]، يريد سوى ما سلف في الجاهلية قبل النهي، وإنما استثنى الموتة الأولى وهي في الدنيا، لأن السّعداء حين يموتون يصيرون بما شاء الله من لطفه وقدرته، إلى أسباب من

(١) ينظر :«**شرح الأصول الخمسة**»/ للقاضي عبد الجبار (ت:٤١٥هـ)/ (ص:٧٣٣).
(٢) «النباش»: هو الذي يستخرج الأكفان خفية. ينظر:«**غريب الحديث**»/ للقاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ)/ (مادة: خفا).
(٣) ينظر:«**تأويل مشكل القرآن**»/ لأبي محمد ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ)/ (ص:٥٤).

أسباب الجنة، ويتفاضلون أيضا في تلك الأسباب على قدر منازلهم عند الله: فمنهم من يلقّى بالرّوح والرّيحان، ومنهم من يفتح له باب إلى الجنة، ومنهم الشهداء أرواحهم في حواصل طير خضر تعلق في الجنة، أي تأكل... ».

-وهو ما فسرها به أبو جعفر الطبري مبينا أن لفظة: «إلا» هنا بمعنى: «بعد»، ومبقيا على أن الموتة الوحيدة التي سيذوقها أهل الجنة هي تلك التي ستصيبهم في الدنيا، يقول[١]: « لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا».

-ولم يحد أبو إسحاق الزجاج وأبو الليث السمرقندي[٢]، وابن أبي زمنين[٣] ومكي القيسي[٤] والإمام البغوي[٥] عن تفسير سلفهم، حيث احتجوا بنفس الآية (٢٢) من سورة النساء، ووافقهم علماء الأصول منهم؛ أبو الحسن الأشعري من خلال: «رسالته إلى أهل الثغر»[٦] يقول: «وأنهم لا يذوقون ألم الموت كما قال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [سورة الدخان: ٥٦]»

أما الشبهة الثانية فهي احتجاجهم بقوله -عز وجل-: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [سورة فاطر: ٢٢]، فقد رد عليها ثلة من العلماء منهم؛

-ابن قتيبة في: «**تأويل مختلف الحديث**»[٧] يقول: « يَعْنِي: أَنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْجُهَلَاءَ، الَّذِينَ كَأَنَّهُمْ مَوْتَى فِي الْقُبُورِ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، وَلَمْ يُرِدْ بِالْمَوْتَى، الَّذِينَ ضَرَبَهُمْ مَثَلًا للجهلاء شهداء بَدْرٍ، فَيُحْتَجَّ بِهِمْ عَلَيْنَا أُولَئِكَ عِنْدَهُ أَحْيَاءٌ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ».

(١) ينظر:«**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (٢٢/ ٥٣)...
(٢) ينظر: «**بحر العلوم**»/ لأبي الليث السمرقندي (ت:٣٧٣هـ)/ (٣/ ٢٧٤).
(٣) «**تفسير القرآن العزيز**»/ لابن أبي زمنين (ت:٣٩٩هـ)/ (٤/ ٢٠٨).
(٤) «**الهداية إلى بلوغ النهاية**»/ لمكي القيسي (ت:٤٣٧هـ)/ (١٠/ ٦٧٦٠).
(٥) «**معالم التنزيل**»/ للإمام البغوي (ت:٥١٠هـ)/ (٧/ ٢٣٧).
(٦) «**رسالة إلى أهل الثغر**»/ لأبي الحسن الأشعري (ت:٣٢٤هـ)/ (ص:١٦٠).
(٧) ينظر:«**تأويل مختلف الحديث**»/ لابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ)/ (ص:٢٢٩).

فمقصود الآية إذن؛ هو تشبيه الكفار وعنادهم في الاستجابة للحق بمنزلة أهل القبور الذين لن تنفعهم هذه الاستجابة بعد ما صاروا إلى دار الجزاء، قال أبو جعفر الطبري[1]: «يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عباده، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حججه»، لهذا أورد اللالكائي[2] هذه الآية في سياق ما روي عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في أن الموتى في قبورهم لا يعلمون مما عليه الأحياء إلا إذا رد الله عليهم الأرواح.

-واستعان ابن عبد البر[3] بما فسرها به شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري، لكنه أردف بالإشارة إلى أنه في مثل هذه القضايا يلزمنا أن نمرر ما أخبر به المصطفى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على ظاهره، لأنه هو الأعلم بمراد الله -تعالى-، يقول: «يمكن أن يكون معناه ما لا نُدركُه نحن، ولم نُؤْتَ مِن نوع هذا العلم إلّا قليلًا على إبانة من الله -عز وجل، فإنّ ما صحّ عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا تضرب له الأمثال، ولا يدخل عليه المقاييس، فلا يُؤمِن عبدٌ يَجِد حرجًا في نفسه من قضاء رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهو العالم بمراد الله -عز وجل-، وبه عَلِمْنا ما عَلِمْنا، وإنّما بُعِث إلى أُمّته وهي لا تعلم شيئًا؛ جزاه الله عنها بأفضل ما جزى نَبِيًّا عن أمّته».

-أما الإمام البغوي[4] فقد استدل بالآية: (٨١)، من سورة النمل، يقول: «أَرَادَ بِهِ الْكفَّار الَّذين هم صُمٌّ عَن الْهدى لَا تقدر أَنْت على هدايتهم كما قال -جل ذكره-: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة النمل:٨١]».

وبخصوص الشبهة الثالثة: فقد احتجوا بأن معنى الآية ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا

(١) ينظر: «**جامع البيان**»/ لابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (٢٠/ ٤٥٩).
(٢) ينظر: «**شرح أصول اعتقاد أهل السنة**»/ للالكائي (ت:٤١٨هـ)/ (٦/ ١٢٢٩).
(٣) ينظر: «**الأجوبة عن المسائل المستغربة من كتاب البخاري**»/ لابن عبد البر النمري (ت:٤٦٣هـ)/ (ص:١٩٤ ١٩٥).
(٤) ينظر: «**شرح السنة**»/ للإمام البغوي (ت:٥١٦هـ)/ (١٣/ ٣٨٤ ٣٨٥).

﴿أَثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [سورة غافر:١١] يفيد أن الله خَلَقَ الخَلْقَ من نطفة هي موات، وهي المقصودة بالموتة الأولى، والثانية هي التي تكون قبل يوم القيامة، وهذه الشبهة ذكرها القاضي عبد الجبار في كتابه: «شرح الأصول»، يقول[1]: «قالوا إن إحدى الإماتتين إنما هو خلق الله -تعالى- الخلق من نطفة هي موات».

وقد تجند العلماء لبيان مراد الله- تعالى- من هذه الآية، نذكر من بين هؤلاء:

- أبو جعفر الطبري[2] حيث استعان في تفسيرها بقول قتادة: «كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان»

-وأبطل ابن خزيمة[3] شبهتهم مبينا أن الله قد ذكر في مواطن أخرى أعدادا تفوق الاثنين من حيث الإحياء والإماتة، ومن ثم فليس ما ذكروه حجة على نفي عذاب القبر، ومن هذه المواطن؛ قوله -تعالى-: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾[سورة البقرة: ٢٥٩]، يقول: «فهذه الآية تصرح أن الله -تعالى- قد أحيى هذا العبد مرتين، إذ قد أحياه المرة الثانية بعد مكثه ميتا مائة سنة، وسيحييه يوم القيامة فيبعثه وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣] ... فهذه الجماعة قد أحياهم الله مرتين، قبل البعث، وسيبعثهم الله يوم القيامة أحياء، فالكتاب دال على أن الله يحيي هذه الجماعة مع ما تقدم من إحياء الله إياهم ثلاث مرات».

-وما ذكره أبو جعفر الطبري من قول قتادة هو أصلا ما فسرها به ابن مسعود

(١) «**شرح الأصول الخمسة**»/ للقاضي عبد الجبار (ت:٤١٥هـ)/ (ص:٧٣١).
(٢) ينظر:«**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (٢١/ ٣٦٠)، و«الروح»/ لابن القيم (ت:٧٥١هـ)/ (ص:٣٥).
(٣) ينظر:«**التوحيد**»/ لابن خزيمة (ت:٣١١هـ)/ (٢/ ٨٧٩ -٨٨٠).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيما نقله عنه ابن أبي حاتم في: «**تفسيره**»[1].

-واجتهد أبو الحسين الملطي في دحض الشبهة الأولى والثالثة معا، وعرى عن جهل أصحابها بمعانيها، يقول[2]: «أما قَوْله: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[سورة غافر:١١]، يَعْنِي كُنَّا نطفا ميتَة لَيست فِيهَا أَرْوَاح فخلقتنا من تِلْكَ النُّطْفَة فَجعلت فِينَا أرواحا فَهَذِهِ موتَة وحياة يَعْنِي بالموتة والحياة الْحَيَاة الثَّانِيَة حِين أماتهم فِي الدُّنْيَا عِنْد آجالهم ثمَّ يحييهم يَوْم الْقِيَامَة فَهَذِهِ موتَة وحياة أُخْرَى تَصْدِيق ذَلِك فِي سُورَة الْبَقَرَة حَيْثُ يَقُول للْكفَّار وهم أَحيَاء فِي الدنيا ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾[سورة البقرة:٢٨]، يَقُول كُنْتُم نطفا ميتَة لَيست فِيهَا أَرْوَاح فخلقكم وَجعل فِيكُم أرواحا ثمَّ يميتكم عِنْد آجالكم فِي الدُّنْيَا ثمَّ يُحْيِيكُمْ فِي الْآخِرَة فهاتان موتتان وحياتان فَهَذَا تفسيرهما».

-أما الحليمي[3] فاعتبر أن هذه الآية تدل على أن الإماتة الأولى هي الوفاة التي تسري على جميع الناس، أما الثانية فهي الإحياء في القبر لأجل السؤال والتعذيب لمن استحقه، يقول: «أرادوا بإحدى الإماتتين؛ الموت المعروف، وبالإماتة الثانية الموت بعد الإحياء في القبر للسؤال والتعذيب. وبإحدى الإحيائين؛ الإحياء في القبر للسؤال والتعذيب، وبالإحياء الثاني الإحياء يوم القيامة».

وفي الشبهة الرابعة: احتجوا بوجود تعارض بين رواية أحمد ورواية البخاري لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ ففي رواية أحمد[4] أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استنكر على اليهودية هذا الخبر

(١) «**تفسير ابن أبي حاتم**»/ لابن أبي حاتم الرازي (ت:٣٢٧هـ)/ (١٠/ ٣٢٦٥).

(٢) «**التنبيه والرد**»/ لأبي الحسين الملطي (ت:٣٧٧هـ)/ (ص:٦٩).

(٣) ينظر:«**المنهاج في شعب الإيمان**»/ للحسين الحليمي (ت:٤٠٣هـ)/ (١/ ٤٩٠)، وبها احتج البيهقي (ت:٤٥٨هـ) في كتابه:«**إثبات عذاب القبر**»/ (ص:٥٠).

(٤) «صحيح الإسناد»: أخرجه أحمد في:«**مسنده**»/ (مسند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا/ ح: ٢٤٥٢٠)، من طريق هاشم، عن إسحاق بن سعيد، عن أبيه سعيد بن عمرو بن العاص، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعا.
قلت: هاشم بن القاسم بن مسلم، أبو النضر الليثي، وثقه ابن حجر في:«**التقريب**»/ (ص: ٨١٢)، عن إسحاق بن سعيد بن عمرو بن العاص ثقة أيضا.«**التقريب**» (ص:٧٩) عن أبيه سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص وثقه ابن حجر.«**التقريب**» (ص:٢٩٥) عن

لما سألته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن ذلك قائلا: «**كَذَبَتْ يَهُودُ، وَهُمْ عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَكْذَبُ، لَا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» لكنه في نهاية الرواية أقرها على ذلك تقول أم المؤمنين؛ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « **ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَاكَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ نِصْفَ النَّهَارِ مُشْتَمِلًا بِثَوْبِهِ، مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَظَلَّتْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ بَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ**».

أما رواية البخاري[1] ففي إقرار بهذا العذاب، فقد حكت: «**أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ القَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ القَبْرِ» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ زَادَ غُنْدَرٌ: «عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ»**».

وقد يبدو أن ثمة تعارض بين الروايتين، فالأولى نفى فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عذاب القبر في بداية الرواية، لكن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في نهاية الخبر ذكرت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعوذ من عذاب القبر، وأمر الناس بالتعوذ منه، وقد رد ابن حجر[2] هذا التعارض بأن الذي: «أنكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هو وقوع عذاب القبر على الموحدين ثم أعلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ذلك قد يقع على من يشاء الله منهم فجزم به وحذر منه وبالغ في الاستعاذة منه تعليما لأمته وإرشادا، فانتفى التعارض بحمد الله تعالى وفيه دلالة على أن عذاب القبر ليس بخاص بهذه الأمة».

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعا، وكلهم من رجال البخاري، قال الهيثمي في: «**مجمع الزوائد**»/ (٣/ ٥٥)،: «هو في الصحيح باختصار، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»

قلت: حديث الإمام أحمد صحيح الإسناد، كما أن روايته في: «**صحيح البخاري**»، باختصار لا ترد المتن لأنه ورد في نهاية الحديث أن = =النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعوذ من عذاب القبر، وهذا ما سيظهر من قول ابن حجر لنفي هذا التعارض، والله أعلم.

(١) أخرجه **البخاري** مختصرا في: «**صحيحه**»/ (كتاب: الجنائز/ باب: ما جاء في عذاب القبر/ ح: ١٣٧٢).

(٢) ينظر: «**فتح الباري**»/ لابن حجر العقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ (٣/ ٢٣٦).

ومن ثم استنتج أن كلا الروايتين ثابتة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يقول[1]: «وكلا الحديثين عن عائشة، وحاصله أنه لم يكن أوحي إليه أن المؤمنين يفتنون في القبور فقال: إنما يفتن يهود، فجرى على ما كان عنده من علم ذلك، ثم لَمَّا عَلِمَ بأن ذلك يقع لغير اليهود استعاذ منه وعلمه وأمر بإيقاعه في الصلاة ليكون أنجح في الإجابة والله اعلم».

أما الشبهة الخامسة: فهي إنكارهم أن يشمل العذاب الروح والجسد؛ إذ رغم أن باقي المعتزلة أثبتوا عذاب القبر إلا أنهم أنكروا أن يكون شاملا الروح والجسد، حيث ذكر الفخر الرازي أن الكعبي طعن في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما لقي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد استشهاد أبيه فقال له: «**يَا جَابِرُ مَالِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا وَعِيَالًا، فَقَالَ: « أَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ، إِنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَإِنَّ اللهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا**[2]، **وَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ مَا شِئْتَ أُعْطِيكَ، قَالَ: تَرُدُّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلُ فِيكَ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَا، إِنِّي أَقْسَمْتُ بِيَمِينٍ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ يَعْنِي الدُّنْيَا**»[3].

---

(١) ينظر:«**فتح الباري**»/ (١١/ ١٧٦).

(٢) «كفاحا»: أي اللقاء والمباشرة. ينظر:«**غريب الحديث**»/ لأبي عبيد الهروي (ت:٢٢٤هـ)/ (٤/ ١٨٦).

(٣) «إسناده حسن»: أخرجه ابن ماجة في:«**سننه**»/ (أبواب السنة/ باب: فيما أنكرت الجهمية/ ح:١٩٠)، و الترمذي في:«**سننه**»/ (أبواب تفسير القرآن/ باب: ومن سورة آل عمران/ ح:٣٠١٠)، والدارمي في:«**الرد على الجهمية**»/ (باب: الاحتجاب / ح:١١٥)، وابن أبي عاصم في:«**السنة**»/ (باب: حديث:«يا جابر ألا أخبرك بما قال/ ح:٦٠٢)، وابن خزيمة في: «**التوحيد**»/ (٢/ ٨٩٠)، والحاكم في:«**المستدرك**»/ (كتاب: معرفة الصحابة/ باب: ذكر مناقب عبد الله بن عمرو بن حرام/ ح:٤٩١٤)...من طرق، عن موسى بن إبراهيم، عن طلحة بن خِراش، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

وحسن الحديث كل من الترمذي والحاكم، وسكت عنه الذهبي في:«**التلخيص**»/ (ح:٤٩١٤)، وقال ا بن عبد البر في:«**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**»/ (٣/ ٩٥٦): مُوسَى بْن إِبْرَاهِيم، وطلحة بْن خِرَاش أنصاري: كلاهما مدني ثقة.

قلت: مدار الرواية على موسى بن إبراهيم الأنصاري: وهو صدوق يخطئ.«**التقريب**»/ (ص:٧٨١)، وطلحة بن خراش، قال عنه ابن حجر: صدوق.«**التقريب**»/ (ص:٣٦٥)، لكن لحديث طلحة بن خراش متابع وهو عبد الله بن محمد بن عقيل الهاشمي، فيما أخرجه أحمد في:«**مسنده**»/ (مسند جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا/ ح:١٨٤٨١)، مختصرا، وإن كان هو الآخر صدوق فيه لين.«**التقريب**»/ (ص:٤٢٦)، يتبين أن موسى بن إبراهيم وطلحة بن خراش اختلف فيهما فقد وثقهما ابن عبد البر، وقول ابن حجر صدوق يحتاج إلى متابع وقد وجد وإن كان هو الآخر فيه لين لكن يقوي الحديث ليرفع الإسناد إلى درجة الحسن، لهذا أورده الألباني في:«**صحيح سنن ابن ماجة**»/ (١/ ٨١)، والله أعلم.

قال الفخر الرازي[١]: «طَعَنَ الْكَعْبِيُّ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَقَالَ: إِنَّهَا غَيْرُ جَائِزَةٍ لِأَنَّ الْأَرْوَاحَ لَا تَتَنَعَّمُ، وَإِنَّمَا يَتَنَعَّمُ الْجِسْمُ إِذَا كَانَ فِيهِ رَوْحٌ لَا الرُّوحُ، وَمَنْزِلَةُ الرُّوحِ مِنَ الْبَدَنِ مَنْزِلَةُ الْقُوَّةِ».

وذكر شمس الدين القرطبي في: «**تذكرته**»[٢] أن بعض المعتزلة قالوا: «إن الله يعذب الموتى في قبورهم، ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام، وزعموا أن سبيل المعذبين من الموتى، كسبيل السكران أو المغشى عليه، لو ضُرِبُوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد إليهم العقل وجدوا تلك الآلام»[٣].

أما ابن حزم[٤] فقد حصر العذاب على الروح دون الجسد و استدل بقوله -تعالى-:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[سورة الأنعام:٩٣]، يقول: «إن النفس معذبة كما ترى من حين موتها إلى يوم القيامة دون الأجساد، فإذا كان يوم القيامة أحيى الله -تعالى- العظام، وأخرجها من القبور وركب عليها الأجساد ورد إليها الأنفس، ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار».

وقد رد أهل السنة على هذه الشبهات بسرد جملة من الأحاديث وردت في الصحاح تثبت أن العذاب يشمل الروح والجسد معا من ذلك:

-حديث قتادة، عن أنس[٥] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: «مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...»وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ ... فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ**».

---

(١) «**مفاتيح الغيب**»/ للفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ)/ (٩/ ٤٢٦).
(٢) ينظر:«**التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**»/ لشمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)/ (ص:٣٨٠).
(٣) اجتهدت في البحث عمن قال بذلك من المعتزلة فلم أقف عليه إلا ما أورده القرطبي في:«تذكرته»
(٤) ينظر:«**رسائل ابن حزم**»/ لابن حزم (ت:٤٥٦هـ)/ (٣/ ٢١٩).
(٥) أخرجه **البخاري** في: (كتاب: الجنائز/ باب: ما جاء في عذاب القبر/ ح:١٣٧٤).

-وحديث حبر الأمة ابن عباس[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**مَرَّ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» **ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا» أَوْ: «إِلَى أَنْ يَيْبَسَا»**».

-وحديث سمرة بن جندب[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**«مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ» فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ[3] مِنْ حَدِيدٍ» قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى: «إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ[4] الحَجَرُ...»** قال ابن القيم[5] في تعليقه على هذا الحديث: «وهذا نص في عذاب البرزخ فإن رؤيا الأنبياء وحي مطابق لما في نفس الأمر».

-أما تفسير ابن حزم لتلك الآية فهو يخالف ما فسرها به شيخ المفسرين[6]، حيث ذكر أن الله -جل شأنه- يقول: « لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ولو ترى، يا محمد، حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين بربهم الآلهة والأنداد، والقائلين: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾

---

(١) «متفق عليه»: أخرجه الشيخان؛ **البخاري** في عدة كتب منها: (كتاب: الجنائز/ باب: الجريد على القبر/ ح:١٣٦١)، و**مسلم** في: (كتاب: الطهارة/ باب: الدليل على نجاسة البول/ ح:٦٩٠)، من حديث ابن عباس **قَالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا...»**

(٢) أخرجه البخاري في:«**صحيحه**»/ (كتاب: الجنائز/ باب: ما قيل في أولاد المشركين/ ح:١٣٨٦).

(٣) «الكلوب»:حديدة معوجة الرأس. ينظر:«**النهاية في غريب الحديث**»/ (مادة: كلب).

(٤) «تدهده»: تدحرج. ينظر:«**النهاية في غريب الحديث**»/ لابن الأثير/ (مادة: دأل).

(٥) ينظر:«**الروح**»/ لابن القيم (ت:٧٥١هـ)/ (ص:٥٩).

(٦) «**جامع البيان**»/ لأبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)/ (١١/ ٥٣٧).

[الأنعام: ٩١]، والمفترين على الله كذبًا، الزاعمين أنّ الله أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيء، والقائلين: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت، ونزل بهم أمر الله، وحان فناء آجالهم، والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم» فهذا يدل على أن العذاب يشمل حتى الأجساد، ولعل الحكمة من عدم إسماع الثقلين أنين المعذب في القبر لكي لا تنتقص حكمة التكليف ويرتفع الابتلاء والامتحان ولا يعرضوا عن التدابير[١].

والسلف قد أجمعوا على أن العذاب يشمل الروح والجسد بلا خلاف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا أَنَّ الْمَيِّتَ إذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ وَأَنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِرُوحِهِ وَلِبَدَنِهِ...».

كما أن الميت إذا استحق العذاب سيأتيه لا مفر من ذلك قبر أم لم يقبر، أكلته السباع أم مات أي ميتة أخرى، فإن العذاب يطاله جسدا وبدنا، يقول ابن القيم[٣]: «ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادا ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور».

وطبيعة ذلك العذاب هو من عوالم الأسرار البرزخية التي غيبها الله ﷻ لحكمته البالغة، والله -جل وعلا- أمرنا بالإيمان بهذا الخبر وتجنب البحث في الكيف، وضرب أمثلة من القرآن نفسه تدل على أن القدرة الإلهية التي أنطقت الحجر وجعلت البحار والجبال والطير يسبحن بحمد الله، وأنين الجذع، وغير ذلك من الخوارق الإلهية تثبت أن الله قادر على أن يلحق بالميت المستحق لذلك العذاب وإن كان ذلك لا يظهر للناس، وهذا ما استدل به ابن القيم في كتابه: «الروح»[٤] لرد هذه الشبهة، كما أن العقل لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه الأمور ومن ثم

(١) ينظر: «**تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**»/ للقاضي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)/ (١/ ١١١).
(٢) ينظر: «**مجموع الفتاوى**»/ لابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ (٤/ ٢٨٤).
(٣) «**الروح**»/ لابن القيم (ت:٧٥١هـ)/ (ص:٥٨).
(٤) المصدر نفسه: (ص: ٧٢ ٧٣).

وجب الإيمان بها مع تجنب السؤال عن الكيف يقول أبو العز الحنفي[1]: «فَيَجِبُ اعْتِقَادُ ثُبُوتِ ذَلِكَ وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي كَيْفِيَّتِه، إِذْ لَيْسَ لِلْعَقْلِ وُقُوفٌ عَلَى كَيْفِيَّتِه، لِكَوْنِه لَا عَهْدَ لَهُ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَالشَّرْعُ لَا يَأْتِي بِمَا تُحِيلُه الْعُقُولُ، وَلَكِنَّه قَدْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ، فَإِنَّ عَوْدَ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ لَيْسَ عَلَى الْوَجْه الْمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا، بَلْ تُعَادُ الرُّوحُ إِلَيْهِ إِعَادَة غَيْرَ الْإِعَادَة الْمَأْلُوفَة فِي الدُّنْيَا» ثم خلص إلى أن: «.. عَذَابُ الْقَبْرِ يَكُونُ لِلنَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة، تَنْعَمُ النَّفْسُ وَتُعَذَّبُ مُفْرَدَة عَنِ الْبَدَنِ وَمُتَّصِلَة بِهِ».

فأهل السنة بدءا من الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- كانوا على عقيدة راسخة أن ما جاء به الوحي يلزم الإيمان به دونما بحث في الكيف، وهو النهج الذي تمسك به الخلف من أهل الحديث كالإمام الأوزاعي والإمام مالك والإمام أحمد وغيرهم ممن ساروا على نهجهم، لهذا قال الإمام الزهري[2]: «مِنَ الله -عز وجل- العِلْمُ وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم»، وكذلك لاتفاقهم على قول واحد في المسائل الغيبية وغيرها، يقول قوام السنة: الإمام أبو القاسم الأصبهاني[3]: «وَمِمَّا يدل عَلَى أَن أهل الحَدِيث هم عَلَى الْحق، أَنَّك لَو طالعت جَمِيع كتبهمْ المصنفة من أَوَّلهمْ إِلَى آخرهم، قديمهم وحديثهم مَعَ اخْتِلَاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد مَا بَينهم فِي الديار، وَسُكُون كل وَاحِد مِنْهُم قطرا من الأقطار، وَجَدتهمْ فِي بَيَان الِاعْتِقَاد عَلَى وتيرة وَاحِدَة، ونمط وَاحِد يجرونَ فِيهِ عَلَى طَرِيقَة لَا يحيدون عَنْهَا، وَلَا يميلون فِيهَا».

وخير ما أختم به قوله ﷻ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[سورة يونس: ٣٩].

(١) ينظر: «شرح العقيدة الطحاوية»/ لابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ)/ (ص: ٣٩٥-٣٩٦).
(٢) ينظر: «خلق أفعال العباد»/ للبخاري (ت:٢٥٦هـ)/ (ص:٧٦)...
(٣) «الحجة في بيان المحجة»/ لأبي القاسم الأصبهاني (ت:٥٣٥هـ/ (٢/ ٢٣٩).

الخاتمة

الحمد لله الذي جعلنا من أتباع سيد المرسلين وخاتم النبيين، والحمد لله الذي من علينا باتباع هديه والتمسك بسنته، الداعين إلى سبيله.

أما بعد؛ فقد جُلْنَا بين ثنايا هذا البحث بين أدلة الفريقين، في كلا المسألتين وخلص البحث إلى نتائج يمكن تلخيصها في العناصر الآتية:

١- أهمية المنهج في فهم نصوص الوحي لاسيما المسائل الغيبية.

٢- يؤدي الاختلاف في المنهج إلى الاختلاف في فهم نصوص الوحي.

٣- الانحراف عن منهج أهل السنة يؤدي إلى تعطيل نصوص الوحي.

وفي ضوء تلك النتائج نوصي بالآتي:

١. ينبغي الإيمان أن نصوص الوحي: (الكتاب والسنة) قطعية الدلالة فلا اجتهاد مع النص، وذلك لأن أهل السنة لم يقسموا الأحاديث الثابتة إلى ما هو قطعي الدلالة وما هو ظني منها، فكل ما هو ثابت يفيد العلم والعمل معا.

٢. ينبغي إدراك أن الوحي يأتي بما تحار فيه العقول لكن لا يأتي بما تحيله العقول.

٣. يجب الاعتقاد أن المسلك السليم والمنهج القويم هو اتباع سنة الأولين من الصحابة ومن سار على دربهم سواء في العقائد أو في غيرها من أمور الدين.

٤. اتباع السلف الصالح في المعتقد وغيره من شأنه أن يوحد الأمة ويقوي شوكتها ضد أعداء الدين.

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

١. **القرآن الكريم (مصحف المدينة النبوية).**

٢. **الإبانة عن أصول الديانة**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)/ تحقيق: د. فوقية حسين محمود/ الناشر: دار الأنصار القاهرة/ ط:١: ١٣٩٧هـ.

٣. **الإبانة الكبرى لابن بطة**، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت: ٣٨٧هـ)/ الجزء الأول والثاني بتحقيق: رضا بن نعسان معطي / الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض/ ط:٢: ١٤١٥ هـ: ١٩٩٤ م.

٤. **إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين**، أبو بكر أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)/ تحقيق: د. شرف محمود القضاة/ الناشر: دار الفرقان: عمان الأردن/ ط:٢: ١٤٠٥هـ.

٥. **الأجوبة عن المسائل المستغربة من كتاب البخاري**، أبو عمر يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ)/ قرأه وعلق عليه: عبد الخالق بن محمد ماضي/ تقديم: محمد بن عمر بن سالم بازمول/ الناشر: وقف السلام الخيري، الرياض: المملكة العربية السعودية/ ط:١: ١٤٢٥هـ:٢٠٠٤م.

٦. **أحكام الجنائز**، أبو عبد الرحمان محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)/ الناشر: المكتب الإسلامي/ ط:٤: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٧. **الإحكام في أصول الأحكام**، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت: ٤٥٦هـ)/ تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر/ قدم له: أ.د. إحسان عباس/ الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٨. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت:٤٦٣هـ)/ تحقيق: علي محمد البجاوي/ الناشر: دار الجيل، بيروت/ ط:١: ١٤١٢هـ:١٩٩٢م.

٩. **الإشارة في أصول الفقه**، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت: ٤٧٤ هـ)/ تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل/ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان/ ط:١: ١٤٢٤ هـ: ٢٠٠٣ م.

١٠. **أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت: ٣٩٩هـ)/ تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد البخاري/ الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية : المملكة العربية السعودية/ ط:١: ١٤١٥ هـ.

١١. **اعتقاد أئمة الحديث**، أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجاني (ت: ٣٧١هـ) / تحقيق: محمد بن عبد الرحمان خميس/ دار العاصمة: رياض/ ط:١: ١٤١٢هـ.

١٢. **الاعتصام**/ إبراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)/ تحقيق: سليم بن عيد الهلالي/ الناشر: دار ابن عفان، السعودية/ ط:١: ١٤١٢هـ: ١٩٩٢م.

١٣. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)/ قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان/ شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد/ الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع: المملكة العربية السعودية/ ط:١: ١٤٢٣هـ.

١٤. **الأعلام**، خير الدين بن محمود الزركلي (ت:١٣٩٦هـ)/ الناشر: دار العلم للملايين/ ط:١٥:أيار: مايو ٢٠٠٢م.

١٥. **الأمالي المطلقة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي/ الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت/ ط:١٤١٦:١هـ/ ١٩٩٥م.

١٦. **الإيمان**، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده (ت:٣٩٥هـ)/ تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي/ الناشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ط:٢: ١٤٠٦هـ.

١٧. **الإيمان**، تقي الدين محمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ تحقيق: خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)/ الناشر: المكتب الإسلامي/ ط:٤: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٨. **البحر الزخار=مسند البزار**، أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار (ت:٢٩٢هـ)/ تحقيق: محفوظ الرحمان زين الله وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق/ الناشر: مكتبة العلوم والحكم/ المدينة المنورة/ ط:١: ١٩٨٨م إلى٢٠٠٩م.

١٩. **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت:٣٧٥هـ)/ تحقيق وتعليق: الشيخ محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ود. زكريا عبد المجيد النوتي/ كلية اللغة العربية/ جامعة الأزهر/ دار الكتب العلمية/ بدون تاريخ الطبع.

٢٠. **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)/ تحقيق: د. بشار عواد معروف/ الناشر: دار الغرب الإسلامي: بيروت/ ط: ١: ١٤٢٢هـ: ٢٠٠٢ م.

٢١. **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت:٥٧١هـ)/ تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي/ الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت: لبنان/ ط:١: ١٤١٩ه:١٩٩٨م.

٢٢. **تأويل مشكل القرآن**، أبو محمد عبد الله بن سليم بن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ)/ تحقيق: إبراهيم شمس الدين/ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان.

٢٣. **التبيان في أقسام القرآن**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)/ تحقيق: محمد حامد الفقي/ الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان/ بدون تاريخ الطبع.

٢٤. **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت:٦٨٥هـ)/ تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب/ الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت/ عام النشر: ١٤٣٣هـ:٢٠١٢م/ بدون تاريخ الطبع.

٢٥. **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، أبو عبد الله محمد بن أحمد، شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)/ تحقيق ودراسة: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم/ الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض/ ط:١: ١٤٢٥ هـ.

٢٦. **تفسير القرآن العظيم**، أبو محمد عبد الرحمن بن إدريس ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)/ تحقيق: أسعد محمد الطيب/ الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز: المملكة العربية السعودية/ ط:٣: ١٤١٩ هـ.

٢٧. **تفسير القرآن العزيز**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زمنين (ت:٣٩٩هـ)/ (تحقيق: حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز/ الناشر: الفاروق الحديثة، مصدر/ القاهرة/ ط:١: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٨. **تقريب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ ومعه: «**تحرير تقريب التهذيب**»/ ضبطه وعلق عليه: سعد بن نجدت عمر/ مؤسسة الرسالة: ناشرون/ ط: ١ :١٤٣٢ هـ:٢٠١١م.

٢٩. **التلخيص في أصول الفقه**، عبد الملك بن عبد الله، أبو المعالي الجويني (ت:٤٧٨هـ)/ تحقيق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمر/ الناشر: دار البشائر الإسلامية: بيروت/ بدون طبعة ولا تاريخ الطبع.

٣٠. **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، محمد بن أحمد، أبو الحسين الملطي (ت:٣٧٧هـ)/ تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري/ الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث/ مصر/ بدون طبعة ولا تاريخ النشر.

٣١. **تهذيب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند/ ط:١: ١٣٢٦هـ.

٣٢. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، يوسف بن عبد الرحمان، جمال الدين ابن الزكي المزي

(ت:٧٤٢هـ)/ تحقيق: بشار عواد معروف/ الناشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ط:١: ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٣. **التوحيد**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ)/ تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان/ الناشر: مكتبة الرشد/ السعودية/ الرياض/ ط:٥: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٣٤. **جامع البيان في تأويل القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)/ تحقيق: أحمد محمد شاكر/ الناشر: مؤسسة الرسالة/ ط:١: ١٤٢٠هـ:٢٠٠٠م/ مؤسسة الرسالة.

٣٥. **جامع البيان في تفسير القرآن**، محمد بن عبد الرحمان الإيجي الشافعي (ت:٩٠٥هـ)/ الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت / ط:١: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٣٦. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري(ت: ٢٥٦هـ)/ تحقيق: محمد زهير / الناشر: دار طوق النجاة / ط:١: ١٤٢٢هـ.

٣٧. **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)/ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/ الناشر: دار الكتب المصرية/ القاهرة/ ط:٢: ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٣٨. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)/ الناشر: مطبعة المدني: القاهرة.

٣٩. **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ)/ تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي/ الناشر: دار الراية : السعودية / الرياض/ ط:٢: ١٤١٩هـ: ١٩٩٩م.

٤٠. **خلق أفعال العباد**، محمد بن إسماعيل البخاري(ت: ٢٥٦هـ)/ تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة / الناشر: دار المعارف السعودية/ الرياض بدون طبعة ولا تاريخ الطبع.

٤١. **درء تعارض العقل والنقل**، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)/ تحقيق: د. محمد رشاد سالم/ الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية/ ط:٢: ١٤١١ هـ: ١٩٩١ م.

٤٢. **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)/ تحقيق: د. محمد السيد الجليند/ الناشر: مؤسسة علوم القرآن / دمشق/ ط:٢: ١٤٠٤م.

٤٣. **الرد على الجهمية**، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت:٢٨٠هـ)/ تحقيق: بدر بن عبد الله البدر/ الناشر: دار ابن الثير/ بيروت/ ط:٢:/ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٤٤. **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب**، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت:٣٢٤هـ)/ تحقيق: عبد الله شاكر ومحمد الجنيدي/ الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية/ ط: ١٤١٣هـ.

٤٥. **رسائل ابن حزم الأندلسي**، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت: ٤٥٦هـ)/ تحقيق: إحسان عباس/ الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت : لبنان.

٤٦. **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض: المملكة العربية السعودية/ عام النشر:١٤٠٣هـ:١٩٨٣م.

٤٧. **الروح**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)/ الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت/ بدون طبعة ولا تاريخ النشر.

٤٨. **الزهد والرقائق لابن المبارك**، أبو عبد الرحمان عبد الله بن المبارك الحنظلي(ت:١٨١هـ)/ تحقيق: حبيب الرحمان الأعظمي/ الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت/ بدون طبعة ولا تاريخ الطبع.

٤٩. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، محمد ناصر الدين الألباني

(ت:١٤٢٠هـ)/ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها: سعد بن عبد الرحمان الراشد: الرياض/ بدون تاريخ الطبع.

٥٠. **السنة**، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني (ت:٢٨٧هـ)/ تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)/ ط:١ :١٤٠٠هـ.

٥١. **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)/ تحقيق: محمد عبد الحميد/ الناشر: المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، بدون تاريخ الطبع.

٥٢. **سنن ابن ماجة**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٣هـ)/ تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، ومحمد كامل قرة بللي، وعبد اللطيف حرز الله/ الناشر: دار الرسالة العالمية/ ط:١: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٥٣. **سنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)/ تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف/ الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي/ مصر/ ط:٢: ١٣٩٥ هـ: ١٩٧٥ م.

٥٤. **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)/ تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط/ الناشر: مؤسسة الرسالة/ ط:٣: ١٤٠٥ هـ: ١٩٨٥ م.

٥٥. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي (ت:٤١٨هـ)/ تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي/ الناشر: دار طيبة/ السعودية/ ط:٨: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٥٦. **شرح الأصول الخمسة**، للقاضي عبد الجبار بن أحمد (ت:٤١٥هـ)/ تعليق: الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم/ حققه وقدم له: د. عبد الكريم عثمان/ مكتبة وهبة/ القاهرة/ ط:٣: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٥٧. **شرح صحيح البخاري**، أبو الحسن علي بن خلف ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ)/ تحقيق: ياسر بن إبراهيم/ مكتبة: الرشد: السعودية، الرياض/ ط: ٢: ١٤٢٣ه:٢٠٠٣م.

٥٨. **شرح السنة**، الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ)/ تحقيق: شعيب الأرناؤوط : محمد زهير الشاويش/ النشر : المكتب الإسلامي : دمشق ـ بيروت / ط:٢: ١٤٠٣هـ : ١٩٨٣م.

٥٩. **شرح العقيدة الطحاوية**، محمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ)/ تحقيق: أحمد شاكر/ الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد/ ط:١: ١٤١٨ هـ.

٦٠. **شرح العقيدة الكبرى المسماة عقيدة أهل التوحيد**، أبو عبد الله محمد بن عمر السنوسي التلمساني الحسني (ت:٨٩٥هـ)/ تحقيق: السيد يوسف أحمد/ دار الكتب العلمية/ بدون طبعة ولا تاريخ الطبع.

٦١. **شرح مسند الشافعي**، عبد الكريم بن محمد، أبو القاسم الرافعي القزويني (ت:٦٢٣هـ)/ تحقيق: أبو بكر وائل محمد بكر زهران/ الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: إدارة الشؤون الإسلامية، قطر/ ط:١: ١٤٢٨هـ:٢٠٠٧م.

٦٢. **شرح المقاصد في علم الكلام**، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩٣هـ)/ تحقيق وتعليق مع مقدمة في علم الكلام: د. عبد الرحمان عميرة/ تصدير فضيلة الشيخ: صالح موسى شرف (عضو هيئة كبار العلماء وعضو مجمع البحوث الإسلامية/ الناشر : عالم الكتب/ ط:٢: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٦٣. **صحيح سنن ابن ماجة**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)/ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض/ ط:١: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٦٤. **صحيح سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض/ ط:١: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٦٥. **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة** ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)/ تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله/ الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية/ ط:١: ١٤٠٨هـ.

٦٦. **طبقات المعتزلة** ، أحمد بن يحيى بن المرتضى/ عنيت بتحقيقه: سوسنة دفيلد-فلزر/ بيروت-لبنان/ ١٣٨٠ه-١٩٧١م/ النشرات الإسلامية يُصَدِّرُهَا: لجمعية المستشرقين الألمانية: هلموت ريتر وألبرت ديتريش.

٦٧. **العواصم من القواصم** ، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت:٥٤٣هـ)/ تحقيق: الدكتور عمار الطالبي/ الناشر: مكتبة التراث، مصر.

٦٨. **الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد** ، علاء الدين ابن العطار (ت:٧٢٤هـ)/ (ص:٢٥٥)/ تحقيق: سعد الزويهري / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر/ ط:١: ١٤٣٢ه:٢٠١١م.

٦٩. **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث** ، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ)/ تحقيق: أحمد عصام الكاتب/ الناشر: دار الآفاق الجديدة: بيروت/ ط:١: ١٤٠١هـ.

٧٠. **العلل الواردة في الأحاديث النبوية** ، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت:٣٨٥هـ)/ تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمان زين الله السلفي/ الناشر: دار طيبة الرياض/ ط:١: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٧١. **العين** ، أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٠هـ)/ تحقيق: د. مهدي المخزومي،د.إبراهيم السامرائي/ الناشر: دار ومكتبة هلال/ بدون طبعة ولا تاريخ الطبع.

٧٢. **غريب الحديث** ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم (ت: ٢٢٤هـ)/ تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان/ مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد: الدكن/ ط:١: ١٣٨٤ هـ: ١٩٦٤ م.

٧٣. **الفتاوى الكبرى**، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)/ الناشر: دار الكتب العلمية/ لبنان/ ط:١: ١٤٠٨هـ:١٩٨٧م.

٧٤. **فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي/ قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب/ عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز/ الناشر: المكتبة السلفية بدون تاريخ الطبع.

٧٥. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، عبد القاهر بن طاهر البغدادي الأسفرايني (ت:٤٢٩هـ)/ الناشر: دار الآفاق الجديدة: بيروت/ ط:٢: ١٩٧٧م.

٧٦. **الفروسية المحمدية**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)/ تحقيق: زائد بن أحمد النشيري/ الناشر: دار عالم الفوائد: مكة المكرمة/ ط:١: ١٤٢٨هـ.

٧٧. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت: ٤٥٦هـ)/ الناشر: مكتبة الخانجي/ القاهرة/ بدون تاريخ الطبع.

٧٨. **الفقه الأكبر**، ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت:١٥٠هـ)/ الناشر: مكتبة الفرقان: الإمارات العربية/ ط:١: ١٤١٩هـ:١٩٩٩م.

٧٩. **الفهرست**، أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت:٤٣٨هـ)/ تحقيق: إبراهيم رمضان/ الناشر: دار المعرفة بيروت/ لبنان/ ط:١٤١٧:٢هـ/ ١٩٩٧م.

٨٠. **الاقتصاد في الاعتقاد**، عبد الغني المقدسي (ت:٦٠٠هـ)/ تحقيق: أحمد بن عطية الغامدي/ مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة: المملكة السعودية/ ط: ١: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٨١. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)/ الناشر:

دار الكتاب العربي/ بيروت/ ط:٣- ١٤٠٧ هـ.

٨٢. **لمعة الاعتقاد**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠هـ)/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة: المملكة العربية السعودية/ ط:٢: ١٤٢٠هـ:٢٠٠٠م.

٨٣. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت:٨٠٧هـ) / تحقيق: حسام الدين القدسي/ الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة/ عام النشر: ١٤١٤هـ:١٩٩٤م/ بدون طبعة.

٨٤. **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)/ تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم/ الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية/ عام النشر: ١٤١٦هـ:١٩٩٥م بدون طبعة.

٨٥. **المحصول في أصول الفقه**، القاضي محمد بن عبد أبو بكر بن العربي المعافري (ت:٥٤٣هـ)/ تحقيق: حسين علي اليدري وسعيد فودة/ الناشر: دار البيارق/ عمان/ ط:١: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٨٦. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)/ تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي/ الناشر: دار الكتاب العربي/ بيروت/ ط:٣- ١٤١٦ هـ: ١٩٩٦م.

٨٧. **المسائل والأجوبة**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)/ تحقيق: حسين بن عكاشة/ الفاروق الحديثة للطباعة والنشر / ط:١ :١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٨٨. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم (ت:٤٠٥هـ)/ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت/ ط:١: ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٨٩. **مسند أبي داود الطيالسي** ، أبو داود سليمان بن داود الطيالسي (ت:٢٠٤هـ)/ تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي/ الناشر: دار هجر/ مصر/ ط:١: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٩٠. **مسند الإمام أحمد** ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)/ تحقيق: شعيب الأرنؤوط : عادل مرشد، وآخرون/ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي/ الناشر: مؤسسة الرسالة/ ط:١/ ١٤١٩هـ:١٩٩٩م.

٩١. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** ﷺ ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ)/ الناشر: دار صادر: بيروت بدون تاريخ الطبع.

٩٢. **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة** ، أبو العباس أحمد بن أبي بكر البوصيري الكناني (ت:٨٤٠هـ)/ تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي/ الناشر: دار العربية: بيروت/ ط:٢ :١٤٠٣هـ.

٩٣. **مصنف ابن أبي شيبة** ، أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، العبسي (ت:٢٣٥هـ)/ تحقيق: كمال يوسف الحوت/ الناشر: مكتبة الرشد/ الرياض/ ط:١: ١٤٠٩هـ.

٩٤. **المطالب العالية** ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)/ تحقيق: مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية/ تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري/ الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ودار الغيث للنشر والتوزيع/ ط:١: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٩٥. **معالم التنزيل في تفسير القرآن** ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)/ تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر : عثمان جمعة ضميرية : سليمان مسلم الحرش/ الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع/ ط:٤: ١٤١٧ هـ : ١٩٩٧ م.

٩٦. **معاني القرآن وإعرابه** ، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج (ت:٣١١هـ)/ تحقيق:

عبد الجليل عبده شلبي/ الناشر: عالم الكتب/ بيروت/ ط:١: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٩٧. **معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود**، أبو سليمان حمد بن محمد بن الخطاب المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)/ تحقيق: محمد راغب الطباخ/ الناشر: المطبعة العلمية/ حلب/ ط:١: ١٣٥١ هـ: ١٩٣٢ م.

٩٨. **المعجم الأوسط**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)/ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني/ الناشر: دار الحرمين/ القاهرة بدون طبعة ولا تاريخ.

٩٩. **المعجم الكبير**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)/ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي/ دار النشر: مكتبة ابن تيمية/ القاهرة/ ط:٢/ بدون تاريخ.

١٠٠. **معرفة أنواع علوم الحديث**، عثمان بن عبد الرحمان، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت:٦٤٣هـ)/ تحقيق: عبد اللطيف الهميم: ماهر ياسين الفحل/ الناشر: دار الكتب العلمية/ ط:١٤٢٣:١ه:٢٠٠٢م.

١٠١. **المُعْلم بفوائد مسلم**، أبو عبد الله محمد بن علي المازري (ت: ٥٣٦هـ)/ تحقيق: الشيخ محمد الشاذلي النيفر/ الناشر: الدار التونسية للنشر: المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة/ ط:٢: ١٩٨٨م، والجزء الثالث صدر بتاريخ:١٩٩١م.

١٠٢. **مفاتيح الغيب= التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)/ الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ ط:٣: ١٤٢٠ هـ.

١٠٣. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت:٦٥٦هـ)/ حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو: أحمد محمد السيد:

يوسف علي بديوي: محمود إبراهيم بزال/ الناشر: دار ابن كثير، دمشق: بيروت)، و(دار الكلم الطيب، دمشق: بيروت)/ ط:١: ١٤١٧هـ: ١٩٩٦م.-**مقالات الإسلاميين**/ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت:٣٢٤هـ)/ تحقيق: نعيم زرزور/ الناشر: المكتبة العصرية/ ط: ١: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٠٤. **المنهاج في شعب الإيمان**، أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي (ت:٤٠٣هـ)/ تحقيق: حلمي محمد فودة/ الناشر: دار الفكر/ ط:١: ١٣٩٩هـ:١٩٧٩م.

١٠٥. **الموافقات**، إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)/ تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان/ الناشر: دار ابن عفان/ ط:١: ١٤١٧هـ: ١٩٩٧م.

١٠٦. **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد**، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت:٢٨٠هـ)/ تحقيق: أبو عاصم الشَّوَامِي الأثري/ الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة: مصر/ ط:١/ ١٤٣٣هـ:٢٠١٢م.

١٠٧. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ) / تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي/ الناشر: المكتبة العلمية/ بيروت/ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٠٨. **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧هـ)/ تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي: جامعة الشارقة، بإشراف: أ. د: الشاهد البوشيخي/ الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة الشارقة/ ط:١: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.